الزراع وعددهم		عدد الافراد من الجنسين	عدد الشغيلة من الرجال	اجراء زراعيون		رفض الممنوحة بالميسانينات
				عدد الاستثمارات التي تشغل اجراء زراعيين	الرجال والنساء	
		١	٢	٣	٤	٥
راع ميسورين	الحاصل	٤٧				١٣٢,٦
	المتوسط بكل زارع	٧,٨٣				٢٢,١
زارعاً متوسطاً	الحاصل	٩٢	٢٦			١٠١,٢
	المتوسط بكل زارع	٨,٣٦				٩,٢
٧ زراع فقراء	الحاصل	٣٧				٥٧,٨
	المتوسط بكل زارع	٥,٢٨				٨,٥
المجموع ٢٤ زارعاً	الحاصل		٤٧			٢٩١,٦
	المتوسط بكل زارع	٧,٣٣	١,٩			١٢,١
اجيران زراعيان (داخلان في عداد الفقراء)	الحاصل					١٤,٤
	المتوسط بكل زارع					٧,٢

المساحة الاجمالية من الارض الصالحة للحراثة	عدد المباني	عدد المؤسسات الصناعية	عدد الادوات الزراعية	الماشية (الرؤوس)		القيمة بالروبلات							
				ماشية العمل	مجمل الماشية القضمة	المباني	الاموال غير المنقولة الاخرى	الادوات الزراعية	الادوات المنزلية	الالبسة	الماشية و النحل		ال
٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧-	١٨	١٩		
١٢٣,٤	٥٢		٢٢٤	٣٥		٢٦٩٦	٢٢٣٧	٦٧٠,٨	٤٥٣		٣٠		
٠,٦	٨,٦		٣٧,٣	٥,٨	١٣,٥	٤٤٩,٣٣	٣٧٢,٨٣	١١١,٨٠			٥١٢,٧٥		,٩١
٠,٢	٧٠		٣٣٨	٤٠	٨٩,١	٢٣٦٢		٥٣٢,٩	٤٣٥,٩	٢٠٩٤,٢	٢٩٠		,٧
١٢,٧	٦,٤		٣٠,٧	٣,٦	٨,١	٢١٤,٧٣		٤٨,٤٤	٣٩,٦٣	١٩٠,٣٨	٢٦٤,٣٣		,٤٢
٤٩,٨	٣١			٧	١٥,٣			١١٢,٣			٠٥,٣		,٧
٧,١	٤,٤		١٥,٤		٢,٢	١١٩,٢٨	١٢,٨٥		٣٦,٢٩	٩٢,٤٥			,٣٨
٣١٣,٤	١٥٣		٦٧٠	٨٢	١٨٥,٤				١١٤٢,٩	٤٠٣٥,٥			,٩
			٢٧,٩	٣,٤	٧,٧	٤٥,٥٥		٥٤,٨٣	٤٧,٦٢	١٦٨,١٤	٢٨٤,٥٦		,٩١
٦,٨					١,١								,٦
٣,٤	٣		٥,٥		٠,٥								

فئات الزراع وعددهم		مجموع الديون غير المسددة بالروبلات	من الزراعة	
			المجموع	بما فيه الحبوب
		٢١	٢٢	٢٣
٦ زراع ميسورين	الحاصل		٦١,٢٪ ٣٨٦١,٧ ١٧٧٤,٤	٥٩٨,٢ ٧٧٤,٤
	المتوسط بكل زارع	١٣,٣		
زارعاً متوسطاً	الحاصل	٣٥٧	٦٠,٧٪ ٣١٦٣,٨ ٨٩٩,٩	٢٠٣,٨ ٨٩٩,٩
	المتوسط بكل زارع	٣٢,٤		
٧ زراع فقراء	الحاصل	٢٣٣,٦	٤٨,٧٪ ٦٨٩,٩ ١٧٥,٢٥	٥٠٢,٠٨ ١٧٥,٢٤
	المتوسط بكل زارع	٣٣,٤		
المجموع ٢٤ زارعاً	أصل	٦٧٠,٦	٥٩,٦٪ ٧٧١٥,٤ ٢٨٤٩,٥٤	٣٠٤,٨ ٨٤٩,٥٤
	المتوسط بكل زارع	٢٧,٩		
اجيران زراعيان (داخلان في عداد الفقراء)	الحاصل			
	المتوسط بكل زارع			

			توزع النفقات										
			الاغذية										
من المؤسسات	مداخيل مختلفة	المجموع بالروبلات	المجموع	النباتية	الاخرى	بما فيها		الالبسة والحاجات ا	تربية الماشية	ماشية العمل والاعتدة	على الشغيلة والرعاة	استئجار الاراضي	الضرائب	لتكهنة
						الحليب، اللحم وخلافهما	الملح، الفودكا، الشاي							
٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١
٪٥	٪٧,٦	٪١٠٠	٢٩,٢	٨٢٣,٨	٦٧٦,٨	٥٦١,٣	١٦٥,٥	٪٨,٢	٪٢٤,٩	٪٩,٤	٪١٣,٥	٪٦,٥	٪٤,٩	٪١,١
٣٢٠	٤٨٢,٢	٦٣١٩,٥	٠٠,٦			١٠٣,٢		٤٢٣,٨	١٢٧٦,٦	٤٨٤,٥	٦٩١,٧	٣٣٢	٢٥٣,٥	٥٦
		٣٦٥٦,١	٢١٨,٧					٥٨,٦						
٥٣,١								٠,٦٣	٢١٢,٧٦	٠,٧٥	١١٥,٢٩	٥٥,٣٣	٤٢,٢٥	٩,٣٣
	٪٣,٧	٪١٠٠	٪٣٧,٦	١٣٣٧,٣	٦١٤,٦	٥٣٤,٣	٠,٣	٪١٠,٦	٪٢١,٢	٪٥	٪٠,٩	٪٦,٨	٪٤,٩	٪١,٣
	١٩٥,٥	٥٢١٢,٢	١٩٥١,٩	٣٣,٤		١٤٤		٥٤٨,١	١٠٩٨.٢	٢٥٦	٤٧,٦	٣٥١,٧	٢٥٤,٩	٦٩,٩
		٢٥٣٤	٢٥٧,٧					٤٩,٥						
			١٧٧,٤٥					٤٩,٨٣	٩٩,٨٤	٢٣,٢٧	٤,٣٣	٣١,٩٧	٢٣,١٧	٦,٣٥
	٪٢,٧	٪١٠٠	٪٤٢,١	٤٨٧,٧	١٧٣,١	١٣٤,٤	٣٨,٧	٪١٤,٦	٪١٥,٦	٪٧,١	٪١,٦	٪٦	٪٦,٥	٪١,٨
	٣٩	١٤١٦,٩	٦٦٠,٨	١٦٠,٩٦		٥٣,٨		٢٢٩,٦	٢٤٣,٧	١١٠,٦	٢٤,٣	٩٤,٥	١٠١,٨	٢٨
		٧٩٤,٦٤	٢٥٣,٤٦					٢٦,٨						
								٣٢,٨	٣٤,٨١	١٥,٨	٣,٤٧		١٤,٥٤	
٪٢,	٪٥,٥	٪١٠٠	٪٣٤,٦		١٤٦٤,٥	١٢٣٠	٢٣٤,٥	٪١٠,١	٪٢٢,٢	٪٧,١	٪٦,٤	٪٦,٥	٪٥,١	٪١,٣
٣٢٠	٧١٦,٧	١٢٩٤٨,٦	٤١١٣,٣	٢٦٤٨,٨				١٢٠١,٥	٢٦١٨,٥	٨٥١,١	٧٦٣,٦	٧٧٨,٢	٦١٠,٢	١٥٣,٩
		٦٩٨٤,٧٤	٧٢٩,٨٦					١٣٤,٩						
١٣,	٢٩,٩	٥٣٩,٥	١٧١,٣٩	١١٠,٣٧	٦١,٠٢	٥١,٢٥	٩,٧٧	٠,٠٦	١٠	٣٥,٤٦	٣١,٨٢	٣٢,٤٣	٢٥,٤٣	٦,٤١
		٢٩١,٠٣												
			٨١,٧	٧٢,١		٦,١	٣,٥	١٤,٩						
			٠,٧	٤٢,٥		٤,٧		٤,٦						
			٠,٨٥					٧,٤٥			٠,٢		١١,٣	

الى مستوى برنامج تثقيفي مجرد وانتهازي ، سطحي ولا اكثر . قد يقولون ان هذا ليس بذنب الافكار القديمة الاشتراكية بوجه عام ، بل ذنب هؤلاء السادة وحدهـــم الذين لا يصنفهم احد في عداد الاشتراكيين ؛ ولكن هذا الاعتراض يبدو لي واهياً تماماً ولقد حاولت في كل مكان ان ابيـن حتمية هذا الانحطاط الذي آلت اليه النظريات القديمة ، وحاولت في كل مكان ان اخصص اقل مجال ممكن لانتقاد هؤلاء السادة بوجه خاص ، واكبر مجال ممكن للاحكام العامة والاساسية التي نادت بها الاشتراكية الروسية القديمة واذا وجد الاشتراكيون اني بسطت هذه الاحكام بصورة غير صحيحة او غير دقيقة او غير كاملة ، فاني لا استطيـــع ان ارد عليهم الا برجاء متواضع جداً تفضلوا ايها السادة ، وابسطوها بانفسكم ، وكملوها كما ينبغي !

والحقيقة ان احداً لن يسر اكثر من الاشتراكيين-الديموقراطيين من امكان المناظرة مع الاشتراكيين .

فهل تظنون حقاً انه يطيب لنا ان نجيب على «مناظرة» هؤلاء السادة واننا كنا عنينا بها لولا تحديهم السافر الملحف والفظ ؟

او هل تظنون حقاً اننا لا نضطر الى اكراه انفسنا على قراءة واعادة قراءة هذا الخليط الكريه من الجمل الليبيرالية الرسميـــة والمواعظ الاخلاقية البرجوازية الصغيرة والتعمق فيه ؟

ولكن ليس الذنب ذنبنا اذا كان لا ينبري الآن لتبرير وبسط هذه الافكار غير هؤلاء السادة وارجو ان تلاحظوا كذلك اني اتكلم عن ضرورة القطيعة مع الافكار البرجوازية الصغيرة حول **الاشتراكية**. **ولا جدال** في ان النظريات البرجوازية الصغيرة التي حللناها رجعية **لانها** تبرز بوصفها نظريات اشتراكية .

ولكن اذا ادركنا انه لا يوجد في الواقع اي شيء اشتراكي هنا على الاطلاق ، اي ان جميع هذه النظريات لا توضـــح اطلاقا

استثمار الشغيلة وانها عاجزة بالتالي اطلاقاً عن ان تؤدي اي خدمة من اجل تحريرهم ، وان جميع هذه النظريات تعكس في الواقع وتخدم مصالح البرجوازية الصغيرة ، ترتب علينا آنذاك ان نقف منها موقفاً آخر ، ترتب علينا ان نطرح السؤال التالي **اي موقف يجب على الطبقة العاملة ان تقفه من البرجوازية الصغيرة وبرامجها** ؟ وعن هذا السؤال لا يجوز الجواب دون ان نأخذ بالحسبان طابع هذه الطبقة المزدوج (ان هذا الازدواج قوي خاصة عندنا في روسيا لان التناحر بين البرجوازية الصغيرة والبرجوازية الكبيرة اقل تطوراً) . ان هذه الطبقة تقدمية بقدر ما تعرض المطالب الديموقراطية العامة ، اي بقدر ما تكافح جميع بقايا القرون الوسطى والقنانة ؛ وهي رجعية بقدر ما تكافح من اجل الحفاظ على وضعها ، بوصفها برجوازية صغيرة ، ساعية الى وقف تطور البلاد العام في الاتجاه البرجوازي وارجاعه الى الوراء فان المطالب الرجعية من هذا النوع ، كمنع التنازل الشهير عن حصص الارض الممنوحة ، مثلا ، والكثير من المشاريع الاخرى لبسط الوصاية على الفلاحين ، انما تختفي عادة وراء ذريعة ظاهرها حق ، ذريعة الدفاع عن الشغيلة ؛ ولكنها في الواقع لا تفعل بالطبع غير ان تزيد من تفاقم وضعهم ، مصعبة في الوقت نفسه نضالهم من اجل تحررهم ان هذين الجانبين من البرنامج البرجوازي الصغير انما يجب التفريق بينهما بدقة ؛ ومع انكار كل طابع اشتراكي لهذه النظريات ، ومع النضال ضد جوانبها الرجعية ، لا يجوز نسيان جانبها الديموقراطي واني اوضح بمثال كيف ان انكار النظريات البرجوازية الصغيرة انكاراً تاماً من جانب الماركسيين لا ينفي الطابع الديموقراطي في برنامجهم ، وليس هذا وحسب ، بل يتطلب بالعكس الاشارة اليه بمزيد من الالحاح وقد اشرنا اعلاه الى الموضوعات الاساسية الثلاث التي استغلها دائماً ممثلو الاشتراكية البرجوازية الصغيرة في

نظرياتهم، وهي قلة الارض ، المدفوعات الباهظة ، نير الادارة الحكومية

وليس في مطلب القضاء على هذه البلايا اي شيء اشتراكي على الاطلاق ، لأنها لا توضح اطلاقاً اسباب انتزاع الملكية واسباب الاستثمار ، ولأن القضاء عليها لا يمس اطلاقاً نير الرأسمال على العمل ولكن القضاء عليها سينزع عن هذا النير اسمال القرون الوسطى التي تقويه ، ويسهل على العامل النضال المباشر ضد الرأسمال ولهذا يلقى احزم التأييد من جانب العمال بوصفه مطلباً ديموقراطياً . ان المدفوعات والضرائب انما هى ، بوجه عام ، قضية لا يمكن ان يوليها اهمية خاصة الا البرجوازيون الصغار ، ولكن المدفوعات المترتبة عندنا على الفلاحين تمثل في كثير من الوجوه مجرد بقايا من عهد القنانة مثلا ، مدفوعات التعويضات التي يجب الغاؤها فوراً وبلا قيد ولا شرط ؛ والضرائب التي لا يتحملها غير الفلاح والبرجوازي الصغير والتي يعفى منها «النبلاء» ان الاشتراكيين-الديموقراطيين سيدعمون دائماً مطلب القضاء على بقايا العلاقات القروسطية هذه التي تتسبب بالركود الاقتصادي والسياسي . كذلك ينبغي قول الشيء نفسه عن قلة الارض وقد سبق لي اعلاه وتوقفت كثيرا عند البرهان على الطابع البرجوازي الذي يطبع النحيب والعويل عليها ولكنه لا ريب في ان الاصلاح الفلاحي ، مثلا ، قد نهب الفلاح بشكل سافر ، عن طريق الاوتريزكي (٦٨) ، لما فيه صالح الملاكين العقاريين ، مؤدياً خدمة لهذه القوة الرجعية الهائلة سواء بصورة مباشرة (بالاقتطاع من اراضي الفلاحين) أم بصورة غير مباشرة (تحديد الاراضي الممنوحة تحديداً حاذقاً) وان الاشتراكيين-الديموقراطيين سيلحون بأشد الحزم على اعادة ما اقتطع من اراضي الفلاحين واعادته اليهم فوراً ، وعلى مصادرة اراضى الملاكين العقاريين مصادرة تامة ، هذه الاراضى التي

تؤلف حصن المؤسسات والتقاليد الاقطاعية ان هذه النقطة الاخيرة ، التي تطابق تأميم الارض ، لا تتسم باي سمة اشتراكية ، لأن نظام المزارعين الذي يتكون عندنا منذ حين ، لن يفعل في هذه الحال غير ان يزدهر بمزيد من السرعة والشدة ، ولكن هذه النقطة تكتسب اقصى درجات الاهمية من وجهة النظر الديموقراطية ، بوصفها التدبير الوحيد الذي من شأنه ان يحطم نهائياً الملاكين العقاريين النبلاء واخيراً ليس هناك بالطبع غير السادة اضراب يوجاكوف وف . ف . من يستطيع ان يرى في انعدام حقوق الفلاحين سبباً لاستثمار الفلاحين ولانتزاع املاكهم ، ولكن نير الادارة الحكومية على الفلاحين ليس امراً ثابتاً لا ريب فيه وحسب ، وليس نيراً بسيطاً وحسب بل يعني ايضاً معاملة الفلاحين بشكل سافر معاملة «الرعاع والسفلة» الذين كتب لهم ان يخضعوا للملاكين العقاريين النبلاء ، والذين لا يتمتعون بالحقوق المدنية العامة الا بنعمة خاصة (مثلا ، الهجرة الداخلية *) والذين يستطيع كل بومبادور ان يتصرف بهم تصرفه باناس مزروبين في بيت عمل (٦٩) وان الاشتراكيين-الديموقراطيين يؤيدون بلا قيد ولا شرط المطلب القائل باعادة جميع الحقوق المدنية الى الفلاحين اعادة تامة ، والغاء جميع امتيازات النبلاء الغاء تاماً ، وابطال الوصاية الدواوينية المفروضة على الفلاحين ، ومنح الفلاحين الادارة الذاتية

---

* لا بد التذكير هنا بوقاحة الاقطاعي الروسية الخالصة ، التي يعارض بها السيد يرمولوف ، وزير الزراعة حالياً ، هجرة السكان الداخلية في كتابه «سوء الموسم والكارثة الوطنية» فلا يجوز من وجهة نظر الدولة ، كما يزعم ، اعتبار هذه الهجرة امراً عقلانياً في حين لا يزال الملاكون العقاريون في روسيا الاوروبية يحتاجون الى الايدي الحرة . ــ وبالفعل لأي غرض يوجد الفلاحون ان لم يكن لغرض ان يطعموا بعملهم هؤلاء الطفيليين الذين هم الملاكون العقاريون واذنابهم «ذوو المقام السامي» ؟

بوجه عام ، ينبغي على الشيوعيين الروس ، اتباع الماركسية ، اكثر من اي كان ، ان يتسموا **بالاشتراكيين-الديموقراطيين** والاّ ينسوا ابداً ، ابان نشاطهم ، ما **للديموقراطية** من اهمية هائلة *

ان بقايا مؤسسات القرون الوسطى ، شبه الاقطاعية ، لا تزال قوية الى ما لا حد له في روسيا (بالنسبة لاوروبا الغربية) ؛ وهي تضغط بثقل مرهق على البروليتاريا وعلى الشعب بوجه عام ، معيقة تقدم الفكر السياسي عند جميع الطبقات والفئات ، الى حد انه يستحيل عدم الالحاح على الاهمية الهائلة التي ترتديها بالنسبة للعمال محاربة المؤسسات الاقطاعية من اي نوع كانت ، والحكم المطلق ، والفئات المميزة ، والدواوينية . ومن المهم ان نبين للعمال بصورة مفصلة جداً ، ان هذه المؤسسات تشكل قوة رجعية هائلة ؛ وانها تزيد من تفاقم طغيان الرأسمال على العمل ؛ وكم هو مهين ذلك الضغط الذي تمارسه على الشغيلة ؛ وكيف تُبقي الرأسمال في الاشكال التي كان عليها في القرون الوسطى ، والتي لا تقل في شيء عن الاشكال الحديثة الصناعية من حيث استثمار العمل ، انما تضيف الى هذا الاستثمار المصاعب القصوى التي ترافق النضال في سبيل الانعتاق ينبغي على العمال ان يعرفوا انه يستحيل عليهم اطلاقاً النضال بصورة فعالة ضد البرجوازية طالما لم يدكوّا اعمدة الرجعية هذه ** ، اذ ما دامت هذه الاعمدة قائمة ،

---

* وتلك نقطة هامة جداً وبليخانوف على حق تماماً حين يقول ان ثوريينا يواجهون «عدوين الاوهام القديمة التي لما تستاصل تماماً ، من جهة ، وضيق تفهم البرنامج الجديد ، من جهة اخرى» راجع الملحق الثالث (ص ٢٨٥ من الطبعة الحالية . **الناشر** .)

** بين المؤسسات الرجعية المهيبة بخاصة ، والتي قلما استرعت نسبيا انتباه ثوريينا ، نجد **دواوينيتنا** الوطنية التي تقود de facto (فعلا ـ

فان البروليتاريا الروسية في الارياف ،ـ التي يعتبر تأييدها شرطاً لا غنى عنه لانتصار الطبقة العاملة ،ـ لن تستطيع ابدا التخلص من وضعها كجماعة منبوذة ، مخبلة ومنهوكة ، غير قادرة الا على يأس بليد ، وعاجزة عن الاحتجاج والنضال بذكاء وثبات ولهذا كان النضال الى جانب الديموقراطية الراديكالية ، ضد الحكم المطلق وضد الفئات المميزة الرجعية والمؤسسات الرجعية ، واجباً اولياً على الطبقة العاملة ؛ وينبغي على الاشتراكيين-الديموقراطيين ان يذكّروها به ، دون ان ينسوا لحظة واحدة افهامها في الوقت نفسه ان النضال ضد جميع هذه المؤسسات ليس ضرورياً الا كوسيلة لتسهيل النضال ضد البرجوازية ؛ وان تطبيق المطالب الديموقراطية العامة ليس ضرورياً للعامل الا من اجل تمهيد الطريق التي تقود الى النصر علىٰ عدو الشغيلة الرئيسي ، على **الرأسمال** ، على هذه المؤسسة

الناشر) الدولة الروسية ان هذه الدواوينية المستكملة بالدرجة الاولى من اوساط اللانبلاء (٧٠) هي برجوازية الى حد عميق ، من حيث منشئها ، ومن حيث مهمة وطابع نشاطها ولكن الحكم المطلق والامتيازات السياسية الهائلة التي يتمتع بها الملاكون العقاريون النبلاء ، قد اضفت على الدواوينية صفات جد مؤذية انها لتشبه دوارة هوائية في حركة دائبة لا انقطاع فيها ، وارفع مهماتها ان تنسق بين مصالح الملاك العقاري ومصالح البرجوازي انها اشبه بيهوذا (٧١) يستغل صداقاته وصلاته الاقطاعية لكي يخدع العمال والفلاحين ، وهي ، بحجة «الدفاع عن الضعيف اقتصاديا» وبحجة ممارسة «الوصاية» عليه ، لحمايته من الكولاك ، والمرابي ، كما تزعم ، تطبق تدابير تحط من حالة الشغيلة وتجعل منهم «الرعاع والسفلة» فتضعهم تحت رحمة الملاك الاقطاعي بل انها تبقيهم بوجه البرجوازية دون اية وسيلة للدفاع انها منافق خطر للغاية حنكته تجربة المبرزين من الرجعيين الاوروبيين الغربيين ، ويخفي بمهارة مطامعه الاراكتشييفية (٧٢) تحت ستار شفاف من جمل تدعي الحب للشعب .

الديموقراطية الخالصة من حيث طبيعتها ، التي تميل بخاصة عندنا ، في روسيا ، الى التضحية بديموقراطيتها والى التكتل مع الرجعيين بغية الضغط على العمال وبغية الحيلولة ، قدر الامكان ، دون ولادة الحركة العمالية .

ان ما عرضناه يبين بما فيه الكفاية ، كما يخيل لي ، موقف الاشتراكيين-الديموقراطيين من الحكم المطلق والحرية السياسية ، وكذلك موقفهم من هذا الميل الذي يشتد بخاصة في الآونة الاخيرة ، ويرمي الى «توحيد» و«تحالف» جميع كتل الثوريين بغية الظفر بالحرية السياسية (٧٣)

وانه لميل اصيل جداً يتسم بطابع مميز

انه لاصيل لان عروض «التحالف» لا تصدر عن فئة او فئات معينة لها برامج معينة ايضاً ، تتفق حول هذه النقاط او تلك فلو كان الامر كذلك ، لكانت مسالة التحالف مسالة تتوقف على كل حالة بمفردها ، لكانت مسالة ملموسة يحلها ممثلو الفئات المطلوب توحيدها وحينذاك لن يكون بالمستطاع وجود ميل خاص «الى التوحيد» . ولكن هذا الميل موجود ؛ انه صادر عن اناس انفصلوا عما هو قديم ولم يتعلقوا باي شيء جديد ان النظرية التي كان يستند اليها حتى الآن اولئك الذين كانوا يحاربون الحكم المطلق تنهار ، **اغلب الظن** ، جارفة معها في انهيارها شروط التضامن والتنظيم **الضرورية** للنضال وها ان السادة «الموحدّين» و«الحلفاء» يعتقدون بلا ريب ان اسهل وسيلة لخلق مثل هذه النظرية ، انما هي في حصر هذه النظرية كلها بالاحتجاج على الحكم المطلق وبالمطالبة بالحرية السياسية ، تاركة جانباً جميع القضايا الاخرى ، الاشتراكية وغير الاشتراكية وبديهي انه لا بد لهذا الضلال الساذج ان يجد ما يدحضه عند القيام بالمحاولات الاولى لتحقيق مثل هذا التوحيد .

غير ان لهذا الميل «الى التوحيد» صفة مميزة ، لانه يعبر عن مرحلة من آخر مراحل تحول الشعبية المناضلة ، الثورية ، الى ديموقراطية راديكالية سياسية ، ـ هذا التحول الذي حاولت ان اصفه من قبل ان الاتحاد المتين بين جميع الفرق الثورية غير الاشتراكية-الديموقراطية تحت هذه الراية لن يكون ممكناً الا حين يصاغ برنامج وطيد من المطالب **الديموقراطية** ، يضع حداً نهائياً لاوهام الطرق الروسية الخاصة القديمة وطبيعي ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يعتبرون انشاء حزب ديموقراطي كهذا تقدماً مفيداً ، وفي هذا المجال ينبغي ان يسهم النشاط الذي يوجهونه ضد الشعبية ، ينبغي ان يسهم هذا النشاط في استئصال جميع الاوهام والخرافات ، وفي لفّ الاشتراكيين تحت راية الماركسية ، وفي مساعدة الفرق الاخرى على تأليف حزب ديموقراطي

ويقيناً ان الاشتراكيين-الديموقراطيين لن يتمكنوا من «الاتحاد» مع هذا الحزب ايضاً ، لانهم يعتبرون انه ينبغي على العمال ان ينتظموا في حزب عمالي خاص ؛ غير ان العمال سيؤيدون ، باشد ما يكون من العزيمة ، كل نضال يقوم به الديموقراطيون ضد المؤسسات الرجعية

ان انحطاط الشعبية الى نظرية مبتذلة من اكثر نظريات الراديكالية البرجوازية الصغيرة سطحية ـ وهو انحطاط يقدم لنا عنه «اصدقاء الشعب» مثالاً صارخاً جداً ـ يبين لنا الخطأ الفادح الذي يرتكبه اولئك الذين يعرضون على العمال فكرة النضال ضد الحكم المطلق دون ان ينيروهم في الوقت نفسه حول طابع علاقاتنا الاجتماعية التناحري ، الذي يحمل مفكري البرجوازية انفسهم على اعلان تاييدهم للحرية السياسية ، دون ان ينيروهم حول الدور التاريخي الذي يعود للعامل الروسي ، بوصفه مناضلاً في سبيل تحرير كل الكادحين .

ثمة اناس يودون ان يلوموا الاشتراكيين-الديموقراطيين لانهم ، كما يزعم ، يريدون ان يحصروا التمتع بنظرية ماركس في انفسهم ، في حين ان نظريته الاقتصادية مقبولة عند جميع الاشتراكيين ولكننا نسأل ما الفائدة من ان يوضح للعمال شكل القيمة وجوهر النظام البرجوازي ودور البروليتاريا الثوري ، اذا كان استثمار الشغيل بوجه عام وفي كل مكان ينسب عندنا ، في روسيا ، لا الى التنظيم البرجوازي للاقتصاد الاجتماعي ، بل ، مثلا ، الى قلة الارض ، الى المدفوعات ، الى نير الادارة الحكومية ؟

ما الفائدة من ان نفسر للعمال نظرية النضال الطبقي ، اذا كانت هذه النظرية لا تستطيع حتى تفسير علاقاتهم مع الصناعي (ان رأسماليتنا قد غرستها الحكومة بشكل اصطناعي) ، هذا عدا سواد «الشعب» الذي لا ينتسب الى طبقة عمال المصانع ، التي تم تكوّنها ؟

كيف يمكن القبول بنظرية ماركس الاقتصادية مع الفكرة الناجمة عنها حول دور البروليتاريا الثوري ، بوصفها منظِّمة الشيوعية بواسطة الرأسمالية ، اذا اريد البحث عندنا عن سبل تقود الى الشيوعية ، خارج الرأسمالية والبروليتاريا التي تولدها الرأسمالية ؟

بديهي في هذه الظروف ان دعوة العامل الى النضال في سبيل الحرية السياسية ، انما تعني دعوته الى سحب الكستناء من النار في صالح البرجوازية المتقدمة لانه لا يمكن النكران (ثمة امر له دلالته وهو ان الشعبيين والنارودوفوليين انفسهم لم ينكروا ذلك) ان الحرية السياسية ستخدم مصالح البرجوازية قبل كل شيء ، انها ستحمل للعمال ، لا تخفيفاً في وضعهم ، انما فقط تخفيفاً في ظروف النضال **ضد هذه البرجوازية بالذات** واني لأهب هنا ضد اولئك الاشتراكيين الذين لا يقبلون بنظرية

الاشتراكيين-الديموقراطيين ، غير انهم ، في الوقت نفسه ، يوجهون دعايتهم الى اوساط العمال اذ في هذه الاوساط فقط يمكن ايجاد العناصر الثورية ــ وقد ادرك الاشتراكيون ذلك بالتجربة ان هؤلاء الاشتراكيين يجعلون نظريتهم في تناقض مع النشاط العملي ويرتكبون خطأ فادحاً جداً بصرفهم العمال عن مهمتهم المباشرة

تنظيم حزب عمالي اشتراكي *

ان هذا الخطأ قد نجم بصورة طبيعية في فترة لما تتطور فيها تناحرات المجتمع البرجوازي الطبقية بصورة مطلقة ، لان هذه التناحرات كانت مخنوقة تحت وطأة القنانة التي كانت تولد عند جميع المثقفين الاحتجاج التضامني وتدفعهم الى النضال ، خالقة وهم وجود ديموقراطية خاصة عند مثقفينا ، وهم انعدام الفوارق العميقة بين افكار الليبراليين وافكار الاشتراكيين اما الآن ، والتطور الاقتصادي متقدم الى حد ان حتى اولئك الذين كانوا ينكرون فيما مضى وجود تربة ملائمة في روسيا للرأسمالية ، يعترفون باننا سرنا بالضبط في طريق التطور الرأسمالي ، فان اي وهم بهذا الصدد لم يبق ممكناً ان تركيب «المثقفين» يبدو بنفس الوضوح الذي

---

* ثمة سبيلان يؤديان الى استنتاج يقول بضرورة استنهاض العمال الى النضال ضد الحكم المطلق **اما** ان نعتبر العامل المكافح الوحيد في سبيل النظام الاشتراكي وحينذاك ننظر الى الحرية السياسية بوصفها شرطا من الشروط التي من شانها ان تسهل نضاله وتلك هي وجهة نظر الاشتراكيين-الديموقراطيين **واما** ان نرى في العامل مجرد الانسان الذى يعاني اكثر من غيره وطأة النظام القائم ، والذي لم يبق لديه ما يخسره ، والذي يستطيع ان يهب باشد ما يكون من العزيمة ضد الحكم المطلق . ولكن هذا يعني حينذاك اكراهه على الانجرار في ذيل الراديكاليين البرجوازيين الذين يرفضون ان يروا التناحر بين البرجوازية والبروليتاريا وراء تضامن «الشعب» باسره ضد الحكم المطلق .

يبدو فيه تركيب المجتمع المنصرف الى انتاج القيم المادية فاذا كان الرأسمالي يسود ويحكم في هذا المجتمع ، فان عصبة ، متزايدة العدد كل يوم ، من الوصوليين ومن مرتزقة البرجوازية ، اي من «المثقفين» القانعين ، الراضين ، الهادئين ، الغريبين عن كل هوس ، العارفين جد المعرفة ما يريدون ، تهيمن بين الاوائل ؛ ان اصحابنا الراديكاليين والليبيراليين لا ينكرون هذا الامر ، بل انهم ، بالعكس ، يشيرون اليه بقوة ، باذلين قصارى جهدهم لاثبات ما فيه من مغاير للاخلاق ، ولشجبه ؛ وهم يصرفون كل جهودهم للتدمير ، للاخزاء وللابادة ان هذه المحاولات الساذجة التي ترمي الى **اخزاء** المثقفين البرجوازيين بسبب برجوازيتهم ، ليست اقل سخفاً من ميل الاقتصاديين البرجوازيين الصغار الى تخويف برجوازيتنا (بذكر تجربة «الاخوة الابكار») بتبيانهم لها انها بسبيل خراب الشعب ، بسبيل نشر البؤس والبطالة والمجاعة بين الجماهير ان هذا الحكم على البرجوازية ومفكّريها يذكر بالحكم على السمكة الكراكية برميها في النهر وفيما وراء هذه الحدود ، يبرز «المثقفون» الليبيراليون والراديكاليون الذين يغدقون بما لا حد له من التعابير حول التقدم ، والعلم ، والعدالة ، والشعب ، الخ . ، والذين يحبون التباكي على سنوات العقد السابع ، على تلك الحقبة التي لم تعرف الاختلافات ، وانحطاط القوى ، وخمود الهمة ، وانعدام الشعور ، والتي كانت فيها النزعة الديموقراطية تذكي جميع القلوب .

يقيناً ان هؤلاء السادة لا يريدون ، بما عرف عنهم من سذاجة ، ان يفهموا ان تضامن ذلك الزمن ناجم عن الظروف المادية في تلك الحقبة ، هذه الظروف التي لا يمكن لها ان تعود فقد كانت القنانة تنيخ بوطأتها على الجميع بالسواء ــ على القن الوكيل الذي جمع بعض المال وشاء ان يعيش كما يطيب له ؛ على الموجيك

(الفلاح) الميسور ، الذي كان يكره السيد لابتزازه ولتدخله في شؤونه ولانتزاعه من استثمارته ؛ على البروليتاري الخادم وعلى الفلاح المفتقر ، الذي كان يباع الى التاجر المستثمِر من هذه القنانة كان يعاني التاجر الصناعي والعامل والحرفي المستقل وصاحب الصنعة . والرابطة الوحيدة التي كانت بين جميع هؤلاء الناس ، انما هي عداؤهم للقنانة ؛ وفيما وراء هذا التضامن ، كان يبدأ التناحر الاقتصادي الاعنف فالى اي حد ينبغي للمرء ان يعلل نفسه بالاحلام الطيبة ، لكي لا يرى حتى الآن هذا التناحر الذي تطور تطوراً هائلاً ؛ لكي يتمنى عودة ازمنة التضامن ، في حين ان الواقع يفرض النضال ، ويتطلب من جميع الذين لا يريدون ان يكونوا خدم البرجوازية **عن وعي او غير وعي** ، ان يقفوا الى جانب البروليتاريا

واذا لم تثقوا بالتعابير الطنانة حول «مصالح الشعب» وحاولتم المزيد من التعمق ، رأيتم انكم تواجهون اخلص مفكري البرجوازية الصغيرة التى تحلم بتحسين اقتصادها بالذات وتشجيعه وانهاضه (هذا الاقتصاد الذي يقولون عنه انه «شعبي») بواسطة مختلف الخطوات التقدمية غير المؤذية ، والتي تعجز اطلاقاً عن فهم كون جميع هذه الخطوات التقدمية لا تؤدي ، في ميدان علاقات الانتاج الحالية ، الا الى تحويل الجماهير بعمق متزايد ابداً الى جماهير بروليتارية واننا لمدينون «لاصدقاء الشعب» لانهم اسهموا اسهاماً واسعاً في اكتشاف طابع مثقفينا الطبقي وقووا بذلك نظرية الماركسيين حول طبيعة اصحابنا المنتجين الصغار البرجوازية الصغيرة ؛ ولا بد لهم من ان يعجلوا حتماً في زوال اوهام الماضي وخرافاته ، التي طالما اقلقت الاشتراكيين الروس ان «اصدقاء الشعب» قد حطوا من قدر هذه النظريات ، وشوهوها ودنسوها الى حد ان الاشتراكيين الروس الذين كانوا يتبعون هذه النظريات ، يرون انفسهم بصورة لا مفر منها امام المعضلة التالية :

اما اعادة النظر في هذه النظريات واما نبذها تماماً والتخلي عن التمتع المطلق بها لهؤلاء السادة الذين يعلنون بصلف وابهة ، urbi et orbi * عن شراء الفلاحين الاغنياء عتاداً متقناً ، والذين يؤكدون لك بأشد ما يكون من الجد انه ينبغي تهنئة الذين تعبوا من الجلوس حول المائدة الخضراء وبنفس هذا المعنى ، يتحدثون عن «النظام الشعبي» وعن «المثقفين» ، لا بأشد ما يكون من الجد وحسب ، بل ايضاً بتعابير ضخمة ، مليئة بالادعاء حول المثل العليا الكبرى ، حول الطريقة المثالية لطرح مشاكل الحياة !..

ان المثقفين الاشتراكيين لن يتمكنوا من القيام بعمل مثمر الا اذا تخلصوا من اوهامهم وبدأوا في السعي وراء سند لهم لا في تطور مرغوب فيه لروسيا ، بل في تطورها الفعلي ، لا في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية الممكنة ، بل الفعلية ومذ ذاك ، ينبغي ان يتجه عملهم **النظري نحو دراسة جميع اشكال التناحر الاقتصادي في روسيا دراسة ملموسة ، نحو دراسة علاقاتها وتطورها المنطقي** ؛ ينبغي لهذا العمل **ان يكشف عن هذا التناحر حيثما يستره التاريخ السياسي وخصائص المؤسسات الحقوقية والاوهام النظرية الثابتة** ينبغي لهذا العمل **ان يرسم لوحة اجمالية عن واقعنا ، بوصفه نظاماً معيناً من علاقات الانتاج ، وان يبين ضرورة استثمار الشغيلة وانتزاع ملكيتهم في ظل هذا النظام ، وان يشير الى الحل الذي يوحيه التطور الاقتصادي للخروج من هذا النظام .**

ان هذه النظرية ، المبنية على دراسة مفصلة ومعمقة للتاريخ الروسي والواقع الروسي ، ينبغي لها ان تعطي الجواب عن مطالب البروليتاريا ــ واذا ما كانت منطبقة على مقتضيات العلم ، فان كل يقظة في تفكير البروليتاريا الاحتجاجي ستدفع هذا التفكير حتما في

---

* ــ للعالم كله . **الناشر** .

طريـــق الاشتراكية-الديموقراطية ان الاشتراكية-الديموقراطية ستنمو بمزيد من السرعة بقدر ما يتقدم وضع هذه النظرية ، لان افطن حراس النظم الحاليـــة عاجزون عن منـع يقظـــة تفكير البروليتاريـــا ، عاجزون ، لان هذه النظم بالذات تؤدي حتمـا وبالضرورة الى انتزاع ملكية المنتجين باتساع متزايد ابداً ، والى نمو البروليتاريا وجيشها الاحتياطي بسرعة متزايدة ابداً ؛ وهذا الى جانب نمو الثروة الاجتماعيـــة ، والتطـــور الكبير في القوى المنتجة ، واقدام الرأسمالية على جعل العمل اجتماعياً ومهما كان الجهد الذي لا يزال يترتب بذله كبيراً لاجل صياغة هذه النظرية ، فان ما يثبت لنا مع ذلك ان الاشتراكيين سيقومون بهذه المهمة ، انما هو انتشار المادية بينهم ، وهي الطريقة العلمية الوحيدة التي تتطلب ان يعبر كل برنامج تعبيراً دقيقاً عن حركة التطور الفعلية ؛ انما هو ايضاً نجاح الاشتراكية-الديموقراطية التي تبنّت هـــذه الافكار ، هذا النجاح الذي اثار اصحابنا الليبراليين والديموقراطيين الى حد ان مجلاتهم الضخمة لم تبق باعثة على الضجر ، كما لاحظ احد الماركسيين

واني ، اذ اشير على هذا النحو الى ضرورة قيام الاشتراكيين-الديموقراطيين بالعمل النظري والى اهمية هذا العمل ومداه ، لا اقصد القول ابداً انه ينبغي لهذا العمل ان يتقدم العمل **التطبيقي** * وبالاحرى ان يصار الى تأجيل العمل التطبيقي حتى ينتهي العمـــل

* بل بالعكس فان العمل التطبيقي ، عمل الدعاية والتحريض ، يتقدم دائماً بالضرورة ، اولاً ، لان العمل النظري لا يفعـــل غير اعطـاء الاجوبة عن الاسئلة التي يطرحها العمل التطبيقي ؛ وثانياً ، لان الاشتراكيين-الديموقراطيين ، لاسباب خارجة عن ارادتهم ، مضطرون في معظم الاحيان ، الى الاقتصار على العمل النظري ، فلا بد لهم ان يقدروا سامي التقدير كل لحظة يكون فيها العمل التطبيقي ممكناً .

النظري ولا يستطيع استخلاص هذا الاستنتاج الا المولعون «بالطريقة الذاتية في علم الاجتماع» او اتباع الاشتراكية الطوبوية ويقيناً اننا اذا افترضنا ان مهمة الاشتراكيين تنحصر في السعي وراء «سبل اخرى (غير السبل الفعلية) لتطور» البلاد، كان من الطبيعي جداً ان لا يغدو العمل التطبيقي ممكناً الا حين يكتشف الفلاسفة العباقرة هذه «السبل الاخرى» ويشيرون اليها، او، بالعكس، ان ينتهي العمل النظري حين يتم اكتشاف هذه السبل والاشارة اليها؛ حينذاك يبدأ عمل اولئك الذين ينبغي عليهم ان يقودوا «الوطن» في هذا «السبيل الآخر» «المكتشف حديثاً»

غير ان الحالة تختلف تماماً حين تنحصر مهمة الاشتراكيين في ان يكونوا قادة البروليتاريا الفكريين في نضالها الفعلي ضد الاعداء الفعليين، الحقيقيين، الذين يعترضون السبيل **الفعلي** لتطور اجتماعي واقتصادي معني ففي هذه الحالة، يندمج العمل النظري بالعمل التطبيقي ويؤلفان عملاً واحداً، اجاد ليبكنخت، احد رواد الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية، وصفه بالكلمات التالية

Studieren, Propagandieren, Organisieren

فلا يمكن للمرء ان يكون قائداً فكرياً اذا لم يقم بالعمل النظري المشار اليه اعلاه، كما انه لا يمكن للمرء ان يكون قائداً فكرياً اذا لم يوجه هذا العمل وفقاً لمقتضيات القضية، اذا لم ينشر نتائج هذه النظرية بين العمال واذا لم يساعد في تنظيمهم

ان هذه الطريقة في طرح المهمة، تقي الاشتراكية-الديموقراطية من النواقص التي غالباً جداً ما تعانيها فرق الاشتراكيين ــ ونعني بها الجمود العقائدي والانعزالية

فلا يمكن ان يكون ثمة جمود عقائدي حيث المقياس الاسمى والوحيد للمذهب قائم في توافقه والسير الفعلي للتطور الاجتماعي

---

* دراسة، دعاية، تنظيم. **الناشر**.

والاقتصادي ؛ ولا يمكن ان يكون ثمة انعزالية حيث المقصود الاسهام في تنظيم البروليتاريا وحيث ينحصر ، بالتالي ، دور «المثقفين» في الاستغناء عن القادة الخصوصيين المثقفين

ولهذا ، رغم الخلافات التي تتجلى بين الماركسيين حول مختلف المسائل النظرية ، لم تتغير الاساليب التي يلجأون اليها في نشاطهم السياسي منذ نشوء الفرقة ولا تزال هي نفسها حتى الآن

ان نشاط الاشتراكيين-الديموقراطيين السياسي قوامه المساعدة في تطوير وتنظيم الحركة العمالية في روسيا ، وفي تحويل محاولاتها الحالية المنعزلة للاحتجاج و«التمردات» والاضرابات ـ وهي خالية من اية فكرة موجهة ـ الى نضال متجانس تخوضه **كل الطبقة** العاملة الروسية ضد النظام البرجوازي ويرمي الى انتزاع ملكية المغتصبين والى هدم النظم الاجتماعية القائمة على اضطهاد الشغيل ان هذا النشاط مبني على اقتناع الماركسيين العام بان العامل الروسي هو الممثل الوحيد والطبيعي لكل السكان الكادحين والمستثمرين في روسيا *

انه الممثل الطبيعي ، لان استثمار الشغيل في روسيا هو **في كل مكان ، رأسمالي ، من حيث جوهره** ، اذا ما تركنا جانباً بقايا الاقتصاد الاقطاعي السائرة في طريق الزوال غير ان استثمار سواد المنتجين ما يزال ضيق النطاق ، ما يزال مجزأ ، ما يزال غير متطور ، في حين ان استثمار البروليتاريا في المعامل والمصانع واسع ومعمم ومركز في الحالة الاولى ، ما يزال هذا الاستثمار

---

* كان ممثلو الاشتراكية الفلاحية ، اي الشعبيون باوسع معنى الكلمة ، يعتقدون ان الموجيك (الفلاح) هو رجل المستقبل في روسيا اما الاشتراكيون-الديموقراطيون ، فيعتقدون ان العامل هو رجل المستقبل في روسيا على هذا النحو صيغت وجهة نظر الماركسيين في احدي المخطوطات .

مقيداً باشكال من القرون الوسطى ، وبشتى انواع الذيول في ميادين السياسة والحقوق والمعيشة ، وبشتى اصناف الحيل والاحابيل ، التي تمنع الشغيل ومفكره من استشفاف جوهر النظام الذي ينيخ على الشغيل بكلكله ، ومن رؤية اين وكيف يمكن التخلص من هذا النظام اما في الحالة الثانية ، فالامر بالعكس ، فان الاستثمار قد تطور تطوراً كاملاً ، ويبدو في شكله الصافي دون مختلف هذه التفاصيل التى تشوش الامور فلم يبق بمستطاع العامل الا يرى ان ما يظلمه ، انما هو **الرأسمال** ؛ وانه يترتب عليه النضال ضد **الطبقة** البرجوازية وهذا النضال الذي يخوضه ، والذي يستهدف تلبية حاجاته الاقتصادية المباشرة وتحسين وضعه المادي ، انما يتطلب من العمال بالضرورة ان ينتظموا وهكذا يصبح هذا النضال بالضرورة حرباً ، لا ضد افراد ، بل ضد **طبقة** ، ضد هذه الطبقة التي تنيخ بكلكلها على الشغيل وتظلمه ، لا في المصانع والمعامل وحسب ، بل على الدوام وفي كل مكان ولذا لم يكن عامل المصنع سوى الممثل المتقدم لجميع السكان المستثمرين ؛ **ولكي** يتمكن من القيام بتمثيله هذا في غمار نضال منظم دائب ، ليس **ثمة** حاجة ابداً لاجتذابه بواسطة اية «آفاق» ؛ يكفي لهذا الغرض **ان نوضح له وضعه** ، والتركيب السياسي الاقتصادي للنظام الذي يظلمه ، وان نبين له ان التناحر الطبقي امر ضروري محتوم في هذا النظام ان وضع عامل المصنع هذا ، في النظام العام للعلاقات الرأسمالية ، يجعل من العامل المكافح الوحيد في سبيل تحرير الطبقة العاملة ، اذ ان المرحلة العليا فقط من تطور الرأسمالية ، اي الصناعة الآلية الكبيرة ، تخلق الشروط المادية والقوى الاجتماعية الضرورية لهذا النضال وفي كل مكان آخر ، حيث اشكال تطور الرأسمالية ادنى ، تنعدم هذه الشروط المادية فالانتاج مجزأ الى كثرة هائلة من الاستثمارات الضئيلة (التي لا تكف

عن كونها **استثمارات** مجزأة ، حتى في اكثر اشكال **الملكية** العقارية المشاعية مساواة) ؛ ولا يزال المستثمر يملك ، في معظم الوقت ، استثمارة صغيرة جداً تربطه على هذا النحو بهذا النظام البرجوازي الذي يترتب عليه النضال ضده وهذا ما يؤخر ويعرقل تطور القوى الاجتماعية القادرة على دك الرأسمالية ان الاستثمار الصغير ، المجزأ ، الفردي ، يربط الشغيلة بهذه المحلة او تلك ، ويفرقهم ، ولا يتيح لهم ادراك تضامنهم الطبقي ، ولا الاتحاد بعد ان يدركوا ان سبب الاضطهاد ليس هذا الفرد او ذاك ، بل النظام الاقتصادي برمته وبالعكس ، تحطم الرأسمالية الكبيرة حتماً كل رابطة تربط العمال بالمجتمع القديم ، بهذه المحلة او تلك ، بهذا المستثمر او ذاك وتوحدهم ، وتدفعهم الى التفكير وتضعهم في شروط واحوال تتيح لهم خوض نضال منظم فالى الطبقة العاملة يوجه الاشتراكيون-الديموقراطيون كل انتباههم ، كل نشاطهم وعندما يستوعب ممثلو هذه الطبقة المتقدمون افكار الاشتراكية العلمية ، وفكرة الدور التاريخي الذي يعود للعامل الروسي ، وعندما تنتشر هذه الافكار على نطاق واسع ، وتؤسس بين العمال منظمات متينة ، من شأنها ان تحول حرب العمال الاقتصادية المتفرقة الحالية الى نضال طبقي واع ، ـ حينذاك يهب **العامل** الروسي على رأس جميع العناصر الديموقراطية ، ويدك الحكم المطلق ويقود **البروليتاريا الروسية** (جنباً الى جنب مع بروليتاريا **جميع البلدان**) **في الطريق المباشر للنضال السياسي السافر نحو الثورة الشيوعية الظافرة .**

النهاية

. ١٨٩٤

الملحق الاول

اورد في الجدول ادناه المعطيات المتعلقة بالميزانيات الـ ٢٤ التي تناولها الكلام في النص .

مجموعة معطيات عن تركيب وميزانيات ٢٤ استثمارة فلاحية نموذجية في قضاء اوستروغوجسك .

ايضاحات للجدول

١ ـ الاعمدة الـ ٢١ الاولى مستقاة بكليتهـــا من المجموعة العمود الـ ٢٢ يشمل اعمدة المجموعة عن الجاودار ، والحنطة والشوفان ، والشعير والذرة البيضاء والحنطة السوداء والحبوب الاخرى والبطاطا والخضار والهشيم (٨ اعمدة) وقد سبق وقلنـــا في النص كيف حسب الدخـل من الحبوب (العمود ٢٣) باستثناء التبن والعصافـــة ثـم يشمل العمود ٢٤ اعمدة المجموعة عن الخيل ، والبقر ، والغنم ، والخنازير ، والطيور ، والجلـــود والصوف ، وشحم الخنزير واللحم ، والالبان والزبدة (٩ اعمدة) الاعمدة الـ ٢٥ ـ ٢٩ مستقاة بكليتها من المجموعة الاعمدة الـ ٣٠ ـ ٣٤ تشمـــل اعمدة المجموعة النفقات على الجاودار والحنطة والذرة البيضاء والحنطة السوداء والبطاطا والخضار والملح والزبدة وشحم الخنزير واللحم والسمـــك والالبان والفودكا والشاي (١٢ عموداً) العمـــــود الـ ٣٥ يشمل اعمـدة المجموعة النفقات على الصابون والكاز والشمع واللباس والآنية المنزليـة (٤ اعمدة) . الاعمدة الباقية واضحة .

٢ ــ العمود الـ ٨ يورد بالديسياتينات مساحة الاراضى المستاجرة ومساحة الاراضي الصالحة للزراعة والداخلة في قوام الاراضى الممنوحة (تشمل المجموعة عموداً كهذا)

٣ ــ الارقام السفلى في اعمدة «توزع الدخل والنفقات» تشير الى **القسم النقدي من النفقات والمداخيل** وفي الاعمدة الـ ٢٥ ــ ٢٨ والـ ٣٧ ــ ٤٢ ، يرد كل الدخل (النفقات) نقداً ، وقد حدد القسم النقدي (المؤلف لا يفرزه) بحسم ما استهلك في الاستثمارة نفسها من الدخل الاجمالي .

الملحق الثاني

ان السيد ستروفه لعلى تمام الحق في ان يضع في المرتبة الاولى من نقده لنيق ـ ون الموضوعة القائلة ان «مذهب ماركس بصدد النضال الطبقي والدولة غريب كلياً عن الاقتصادي السياسي الروسي» انا لا املك جرأة السيد كريفنكو لكي احكم ، استناداً الى هذه المقالة الصغيرة الوحيدة (من ٤ اعمدة) للسيد ستروفه ، على نظام مفاهيمه (وانا لا اعرف مقالاته الاخرى) ؛ وانا لا استطيع كذلك امتناعاً عن القول اني لا اشاطر جميع ما اورده من موضوعات ولهذا استطيع ان ادافع ، لا عن مقالته برمتها ، بل فقط عن بعض الموضوعات الاساسية التي يعرضها ولكنه على كل حال يقدر الوضع المذكور تقديراً عميق الصحة ان عدم فهم النضال الطبقي الملازم للمجتمع الرأسمالي هو بالفعل **الخطأ الجذري** الذي يقترفه السيد نيق ـ ون حسبه اصلاح هذا الخطأ وحده لكي تنجم حتماً من موضوعاته وابحاثه النظرية استنتاجات اشتراكية-ديموقراطية والواقع ان غياب النضال الطبقي عن البال يدل على انعدام فهم للماركسية في غاية الفظاظة ، انعدام فهم ينبغي لوم السيد نيق ـ ون عليه ، خصوصاً وانه بالاجمال يرغب في ان يظهر بمظهر نصير حازم لمبادئ ماركس فهل في مستطاع احد ، وان كان ملماً بعض الشيء بماركس ، ان ينكر ان مذهبه بشأن النضال الطبقي هو مركز الثقل في كل نظام مفاهيمه ؟

لقد كان في مستطاع السيد نيق .ـ ون ، بالطبع ، ان يتبنى نظرية ماركس باستثناء هذه النقطة ، ولو على الاقل لأنها ، مثلا ، لا تطابق ، فرضاً ، معطيات التاريخ الروسي والواقـــع الروسي ولكنه ، اولا ، كان من المستحيل آنذاك القول ان نظرية ماركس تفسر نظمنا ، كان من المستحيل التحدث حتى عن هذه النظرية وعن الرأسمالية ، لأنه كان قد ترتب اعادة صياغة النظرية واستنباط مفهوم عن رأسمالية اخرى لا تلازمها العلاقات التناحرية والنضال الطبقي . وكان قد ترتب على كل حال الاشارة الى هذا بكل تفاصيله ، وتوضيح الاسباب التي حملت المؤلف على قبول نقطة من الماركسية وعلى رفض نقطة اخرى ولكن السيد نيق .ـ ون حتى لم يحاول القيام باي شيء من هذا القبيل

والسيد ستروفه على تمام الحق حين يخلص الى القول ان عدم فهم النضال الطبقي يجعل من السيد نيق .ـ ون **طوباويا** ، لأن من يجهل النضال الطبقي في المجتمع الرأسمالي ، يجهل eo ipso * كل المضمون الفعلي لحياة هذا المجتمع الاجتماعية والسياسية ويحكم على نفسه حتماً ، تحقيقاً لرغائبه ، بالاستغراق في احلام بريئـــه ساذجة ان عدم الفهم هذا يجعل منه **رجعياً** لأن الاستنجـــــاد «بالمجتمع» و«الدولة» اي بمفكري البرجوازية وساستها لا يمكن له غير ان يضلل الاشتراكيين ويحملهم على اعتبار ألد اعـــداء البروليتاريا حلفاء لهم ، لا يمكن له غير ان يكبح نضال العمال في سبيل تحررهم بدلا من ان يسهم في تعزيز هذا النضال وايضاحه وتحسين تنظيمه .

وما دمنا نتكلم عن مقالة السيد ستروفه ، فلا يجوز الامتناع عن التذكير ايضاً ، في هذه المناسبة ، بجواب السيد نيق .ـ.ون في العدد ٦ من «روسكويه بوغاتستفو» *

يتحدث السيد نيق .ـ.ون ، مورداً معطيات عن نمو عدد عمال المصانع والمعامل نمواً بطيئاً يتأخر عن نمو عدد السكان ويقول : «يبدو ان الرأسمالية عندنا لا تؤدي «رسالتها التاريخية» وليس هذا وحسب ، بل تضع بنفسها حدوداً امام تطورها بالذات ولهذا السبب ، مثلا ، كانوا الف مرة على حق اولئك الذين يبحثون «لوطنهم عن سبيل للتطور يختلف عن السبيل الذي سلكته وتسلكه اوروبا الغربية» (وهذا يكتبه انسان يعترف بان روسيا تسلك هذا السبيل الرأسمالي نفسه !) اما عدم اداء هذه «الرسالة التاريخية» ، فيراه السيد نيق .ـ.ون في كون «التيار الاقتصادي الذي يعادي المشاعة (هذا التيار هو الرأسمالية) يحطم اسس وجود المشاعة بالذات ، دون ان يسهم باي قسط في مهمة التوحيد التي تتصف بها اوروبا الغربية بشدة والتي تبدأ في الظهور بقوة خاصة في اميركا الشمالية»

وبتعبير آخر ، نحن امام حجة رسمية ضد الاشتراكيين-الديموقراطيين اخترعها السيد ف ف الشهير الذي كان ينظر الى الرأسمالية من وجهة نظر موظف وزاري يبت في قضية من قضايا

---

* بوجه عام يبدو ان السيد نيق .ـ.ون يحاول بكل حزم بمقالاته في «روسكويه بوغاتستفو» ان يبرهن انه ليس بعيداً ابداً عن الراديكالية البرجوازية الصغيرة كما كان من الممكن الظن وانه قادر هو ايضاً على ان يرى في نمو البرجوازية الفلاحية (العدد ٦ ، ص ١١٨ ـ انتشار الادوات المحسنة والفوسفوريتات .etc (et cetera الخ **الناشر** بين «الفلاحين») الدليل على ان «**الفلاحين** انفسهم» (اي الذين تنتزع املاكهم بصورة جماهيرية ؟) «يدركون ضرورة الخروج من وضعهم الحالي» .

الدولة هي قضية «ادخال الرأسمالية في حياة الشعب» اذا ادت «رسالتها» ، يمكنها ان تمر واذا لم تؤدها ، «لا ندعها تمر» وفضلا عن جميع الصفات الاخرى التي تتصف بها هذه الحكمة الحاذقة ، فهم السيد ف ف «رسالة» الرأسمالية بالذات ، ويفهمها ، اغلب الظن ، السيد نيق ..ون فهماً خاطئاً ضيقاً حتى الصفاقة ، حتى المستحيل ؛ وغني عن البيان ان هؤلاء السادة ينسبون من جديد بلا حياء ما يختصون به من ضيق فهم الى الاشتراكيين-الديموقراطيين يمكن الافتراء عليهم كما على الموتى ، لأن ولوج الصحافة الشرعية محرم عليهم !

لقد رأى ماركس ان دور الرأسمالية التقدمي ، الثورى يتقوم في كونها ، بحكم آلية تطورها بالذات ، الى جانب اضفائها على العمل الصفة الاجتماعية في الوقت نفسه ، «تعلم الطبقة العاملة وتوحدها وتنظمها» ، تعلمها النضال ، وتنظم «استياءها» ، وتوحدها من اجل «انتزاع ملكية المغتصبين» ، من اجل الاستيلاء على السلطة السياسية وانتزاع وسائل الانتاج من ايدي «القلة من المغتصبين» بغية نقلها الى ايدي المجتمع كله («رأس المال» ، ص ٦٥٠)

هكذا يقول ماركس

فالكلام لا يتناول ، بالطبع ، «عدد عمال المصانع والمعامل» أنما يتناول تمركز وسائل الانتاج واضفاء الصفة الاجتماعية على العمل وواضح ان هذه المقاييس لا تمت باي صلة الى «عدد عمال المصانع والمعامل»

ولكن اصحابنا شراح ماركس الفريدين قد فسروه على وجه الضبط تفسيراً يحمل على الظن بان اضفاء الصفة الاجتماعية على العمل في ظل الرأسمالية يقتصر على عمل عمال المصانع والمعامل تحت سقف واحد ، وبان ما فعلته الرأسمالية من تقدمي يقاس

بالتالي بعدد عمال المصانع والمعامل !!! فاذا ازداد غدد عمال المصانع والمعامل ، فهذا يعني ان الرأسمالية تجيد اداء العمل التقدمي ؛ واذا قل ، فهذا يعني انها «تسيى اداء رسالتها التاريخية» (ص ١٠٣ من مقال السيد نيق .ـ ون) ، وعلى «المثقفين» «ان يبحثوا عن سبل اخرى لوطنهم»

وها هم المثقفون الروس يعمدون الى البحث عن «سبل اخرى» انهم يبحثون منذ عدة عشرات من السنين عن هذه السبل ويجدونها ، مبرهنين * بكل قواهم ان الرأسمالية تطور «غير صحيح» لأنها تؤول الى البطالة والازمات ففي عام ١٨٨٠ مثلا ، جابهنا ازمة ؛ وفي عام ١٨٩٣ ايضاً لقد آن الاوان للانصراف عن هذا السبيل لأنه واضح ان امورنا تسير بشكل سيى

ولكن البرجوازية الروسية «تسمع وتأكل» (٧٤) : وبالفعل ، تسير الامور «بشكل سيى حين لا يبقى من الممكن الحصول على ارباح اسطورية ؛ واذا بها تغني في جوقة واحدة مع الليبيراليين والراديكاليين ، وتقدم بكل قوة على بناء السكك الحديدية الجديدة بفضل الرساميل التي تحررت والتي هي ارخص ان «امورنا» تسير بشكل سيئ «لأننا» في مطارحنا القديمة نهبنا الشعب

---

* اذا كانت هذه البراهين تذهب عبثاً ، فليس ذلك لأنها غير صحيحة فان خراب الشعب وافتقاره وجوعه ترافق الرأسمالية بصورة لا شك فيها ولا مناص منها ، بل لأن هذه البراهين توجه في الهواء ان «المجتمع» ، حتى وراء ستار الديموقراطية ، يخدم المصالح البلوتوقراطية ، ويقيناً ان ليس البلوتوقراطية هي التي ستعمل ضد الرأسمالية «الحكومة» .ـ اورد رأيا لخصم هو السيد ميخايلوفسكي :ـ مهما كان اطلاعنا قليلا على برامج حكومتنا ـ هكذا كتب ذات مرة ـ الا اننا نعرف منها ما يكفي لكي نكون على ثقة بأن «اضفاء الصفة الاجتماعية على العمل» لا يرد في برنامجها .

تماماً ، ولا بد لنا من الانتقال الى الرأسمال الصنـــاعي الذي لا يستطيع ان يثرينا مثل الرأسمال التجاري : وهكذا «فاننا» سنمضي الى الاطراف الشرقية والشمالية من روسيا الاوروبية حيث لا يزال «التراكم البدائي» ممكناً وحيث يعطي هذا «التراكم» ربحـاً يفوق الرأسمال مرات عديدة ، وحيث تمايز الفلاحين البرجوازي لايزال ابعد من ان ينتهي ان المثقفين يرون كل هذا ويهددون ابـدأ ودائماً «باننا» سنصل من جديد الى الافلاس وبالفعل ، يحـل افلاس جديد فان جمهور الرأسماليين الصغار يبتلعه الرأسماليون الكبار ، وجمهور الفلاحين يزاح من الزراعة وهذه تنتقل اكثر فاكثر الى ايدي البرجوازية ؛ وبمقاييس هائلة تتعاظم موجة الفقر والبطالة والهلاك بسبب الجوع ، ــ وبضمير مطمئن ، يتذرع «المثقفـون» بنبوءاتهم وينوحون من جديد بصدد السبيل الخاطى ، ويبرهنون على ان عدم ثبات رأسماليتنا مشروط بانعدام الاسواق الخارجية

ولكن البرجوازية الروسية «تسمع وتاكل» وبينما يبحث «المثقفون» عن سبل جديدة ، تشرع هي بورشات هائلة لبناء السكك الحديدية المؤدية الى مستعمراتها ، خالقة لنفسها سوقاً هناك ، حاملة الى بلد فتي مفاتن النظم البرجوازية ، منمية بسرعة خاصة هناك ايضاً البرجوازية الصناعية والزراعية ، ورامية جمهور المنتجين في صفوف العاطلين عن العمل الجياع ابداً ودائماً

فهل يكتفي الاشتراكيـــون فعلا زمناً اطول بالنحيب والعويل بصدد السبل غير الصحيحة ويبرهنون على وهن الرأسمالية استناداً الى نمو عدد عمال المصانع والمعامل نمواً بطيئاً !!؟

قبل الانتقال الى هذه الفكرة الصبيانية * ، لا بد من التذكير

---

* وكيف لا ننعت فعلا هذه الفكرة بانهـــا صبيانية ، حين يؤخذ ، لتعريف عمل الرأسمالية التقدمي ، لا درجة اضفاء الصفة الاجتماعية عـلى

بان السيد نيق .ـون قد نقل بصورة غير صحيحة اطلاقاً المقطع الذي ينتقده من مقالة السيد ستروفه فقد جاء في مقالته ما يلي حرفياً :

«اذا كان المؤلف (اي السيد نيق .ـون) يشير الى الفرق بين قوام السكان الاميركيين من حيث نوع انشغالهم ، فهو يقر بان ٨٠ بالمئة من مجموع السكان الذين يقومون بنشاط اقتصادي (erwerbsthätigen) في روسيا مشغولون في الزراعة ، و٤٤ بالمئة فقط في الولايات المتحدة ، ولكنه لا يلحظ في هذا الصدد ان تطور روسيا الرأسمالي سيعمل بالضبط على تقليل هذا الفرق بين ٨٠و٤٤ وفي هذا ، يمكن القول ، تتقوم رسالته التاريخية»

قد يجد المرء ان **كلمة** «رسالة» واردة هنا بصورة غير موفقة كثيراً ، ولكن فكرة السيد ستروفه واضحة فان السيد نيق .ـون لم يلحظ ان تطور روسيا الرأسمالي (وهو نفسه يعترف بان هذا التطور هو بالفعل رأسمالي) سيقلل عدد سكان الريف في حين ان هذا قانون عام للرأسمالية ولذا كان ينبغي للسيد نيق .ـون ، لكي يدحض هذا الاعتراض ، ان يبين **اما** ١ ـ انه لم يغب عن باله هذا الميل في الرأسمالية ، **واما** : ٢ ـ ان الرأسمالية لا تنطوي على هذا الميل

وعوضاً عن هذا ، يعمد السيد نيق .ـون الى تحليل المعطيات عن عدد العمال في مصانعنا (١٪ من السكان بموجب حسابه) ولكن هل تناول الكلام عند السيد ستروفه عمال

العمل ، بل علامة متقلبة جداً في تطور فرع **واحد** فقط من فروع العمل الشعبي ان كل امرئ يعرف ان عدد العمال لا يمكن ألا يكون متغيراً الى اقصى حد في ظل نمط الانتاج الرأسمالي ، وانه رهن بطائفة كبيرة من العوامل الثانوية كالازمات ، وضخامة الجيش الاحتياطي من العمال ، ودرجة استثمار العمل ، ودرجة توتره ، وهكذا دواليك وهلمجراً .

المصانع ؟ وهل ٢٠٪ من السكان في روسيا و٥٦٪ في اميركا هم عمال مصانع ؟ وهل مفهوما «عمال المصانع» و«السكان العاملون خارج الزراعة» سيان ؟ وهل يمكن النكران ان نسبة السكان العاملين في الزراعة تقل في روسيا ايضاً ؟

بعد هذا التصويب الذي اعتبره ضرورياً خصوصاً وان السيد كريفنكو قد سبق له وشوه مرة هذا المقطع في المجلة نفسها ، لننتقل الى فكرة السيد نيق ـ ون نفسها القائلة «ان رأسماليتنا تسيئ اداء رسالتها»

اولا ، من الحماقة ان نعتبر عدد عمال المصانع والمعامل وعدد العمال العاملين في الانتاج الرأسمالي شيئاً واحداً ، كما يفعل ذلك كاتب «دراسات» فان هذا يعني تكراراً **(وحتى تشديداً)** لخطأ الاقتصاديين الروس البرجوازيين الصغار الذين بدأت الرأسمالية ، حسب رأيهم ، من الصناعة الآلية الكبيرة مباشرة ولكن الملايين من الحرفيين الروس العاملين من اجل التجار وبمواد التجار لقاء اجرة عادية ، ألا يعملون في الانتاج الرأسمالي ؟ والاجراء الزراعيون والمياومون في الزراعة ، ألا يتقاضون اجراً من ارباب العمل ويقدمون لهم قيمة زائدة ؟ والعمال العاملون في صناعة البناء (التي تطورت بسرعة عندنا بعد الاصلاح) ، ألا يتعرضون للاستثمار الرأسمالي ؟ الخ . *

---

* اكتفي هنا بنقد **اسلوب** السيد نيق ـ ون الذي يحكم على «دور الرأسمالية التوحيدى» استناداً الى عدد عمال المصانع انا لا استطيع التطرق الى تحليل الارقام ، لأني لا املك المصادر التي استغلها السيد نيق ـ ون . ولكني لا استطيع الامتناع عن الاشارة الى ان السيد نيق ـ ون لم يتوفق كثيراً في اختيار مصادره فهو في البدء ياخذ معطيات من «المجموعة العسكرية الاحصائية» من اجل عام ١٨٦٥ ، ومن «دليل المصانع والمعامل» الصادر عام ١٨٩٤ ، من اجل عام ١٨٩٠ . وهكذا يبلغ

ثانياً ، من الخراقة ان نقارن عدد عمال المصانع (١٤٠٠٠٠٠) مع عدد السكان الاجمالي ونعكس هذه المقارنة بنسبة مئوية بين العددين . فان هذا يعني بكل بساطة اننا نقارن قيماً لا يقاس بعضها

معه عدد العمال (باستثناء عمال المناجم) ٨٢٩٥٧٣ و٨٧٥٧٦٤ الزيادة ٥,٥٪ ، اي اقل بكثير من زيادة عدد السكان العام (٩١ مليونا و٦١,٤٢ مليونا ـ اي ٤٨,١٪) **وفي الصفحة التالية** ، ياخذ معطيات اخرى ، من اجل عام ١٨٦٥ ومن اجل عام ١٨٩٠ ، من «دليل» عام ١٨٩٣ وبموجب هذه المعطيات ، يبلغ عدد العمال ٣٩٢٧١٨ و٧١٦٧٩٢ ؛ الزيادة ٨٢٪ ولكن هذه المعطيات لا تشمل عمال الصناعة التي تخضع سلعها لضريبة غير مباشرة والتي بلغ عدد عمالها (ص ١٠٤) ١٨٦٠٥٣ في عام ١٨٦٥ و١٤٤٣٣٢ في عام ١٨٩٠ واذا جمعنا هذين الرقمين الاخيرين مع السابقين ، حصلنا على عدد العمال الاجمالي (باستثناء عمال المناجم) ٥٧٨٧٧١ في عام ١٨٦٥ و٨٦١١٢٤ في عام ١٨٩٠ الزيادة ٤٨,٧٪ مقابل زيادة عدد السكان ٤٨,١٪ وهكذا ، في سياق خمس صفحات يورد المؤلف معطيات يشير بعضها الى زيادة قدرها ٥٪ واخرى الى زيادة قدرها ٤٨٪ ! وعلى اساس هذه المعطيات المتناقضة ، يخلص الى القول بوهن رأسماليتنا !!

ثم لماذا لم ياخذ المؤلف المعطيات عن عدد العمال التي اوردها في «دراساته» (الجدولان ١١ و١٢) والتي نرى منها عدد العمال ينمو مقدار ١٢ـ١٣٪ خلال **ثلاث سنوات** (١٨٨٦ـ١٨٨٩) ، اي انه ينمو باسرع بكثير من عدد السكان ؟ قد يقول المؤلف ان هذه الحقبة من الزمن قصيرة للغاية ولكن هذه المعطيات هي ، بالمقابل ، من نوع واحد وقابلة للمقارنة وجديرة بالثقة الى حد كبير هذا اولا ثانيا ، ألم يستغل المؤلف نفسه هذه المعطيات ذاتها رغم حقبة الزمن القصيرة ، لكي يبدي رأيه بنمو صناعة المصانع والمعامل ؟

مفهوم انه لا بد للمعطيات عن فرع واحد فقط من فروع العمل الشعبي ان تكون واهنة غير اكيدة ، حين ياخذون دليلا على حالة هذا الفرع دليلا متقلباً كعدد العمال . فكروا اذن : اي حالم ساذج لا حدود لسذاجته

ببعض : عدد السكان القادرين على العمل مع عدد السكان غير القادرين على العمل ؛ السكان العاملين في انتاج القيم المادية مع عدد السكان ذوى «المهن الايديولوجية» الخ أفلا يطعم كل من عمال المصانع والمعامل عدداً معيناً ممن لا يشتغلون من اعضاء عائلتهم ؟ أفلا يطعم عمال المصانع ـ فضلا عن ارباب عملهم وعن قطيع كامل من التجار ـ جمهوراً من الجنود والموظفين واضرابهم من السادة ممن تصنفونهم في عداد السكان الزراعيين ، وبعد ذلك تعارضون كل هذا الخليط بعمال المصانع والمعامل ؟ ثم ، أليس في روسيا صناعات حرفية كصيد السمك وما اشبه ، يكون من الخراقة ، بعد ضمها الى الزراعة ، معارضتها بصناعة المصانع والمعامل ؟ فاذا اردت ان تكوّن فكرة عن تركيب سكان روسيا حسب مهنهم ، ترتب عليك ، اولا ، ان تفرز على حدة السكان الذين يعملون في انتاج القيم المادية (على ان تستثني بالتالي السكان غير العاملين ، من جهة ، والجنود والموظفين والكهنة الخ . من جهة اخرى) ، ثانياً ، ان تحاول توزيعهم حسب مختلف فروع العمل الشعبي فاذا لم تتوافر المعطيات لهذا الغرض ، ترتب الامتناع عن القيام بمثل هذه الحسابات * ، عوضاً

ينبغي ان يكون ذاك الذي يامل ، استناداً الى معطيات كهذه ، ان تنهار الرأسمالية عندنا ، وتحيل نفسها بنفسها الى رماد ، دون نضال عنيد ، مستميت ! ـ ويعارض هذه المعطيات بواقعين لا يقبلان الشك بسيادة وتطور الرأسمالية في جميع فروع العمل الشعبي !

* حاول السيد نيق .ـون ان يجري حساباً كهذا في «دراسات» ولكنه لم يتوفق اطلاقاً . ففي الصفحة ٣٠٢ نقرأ :

«في الآونة الاخيرة جرت محاولة لتحديد عدد جميع العمال الاحرار في ٥٠ محافظة من روسيا الاوروبية (س . أ . **كورولنكو** . «العمل المأجور الحر» سانت-بطرسبورغ ١٨٩٢) ان دراسة مصلحة الزراعة تحدد عدد جميع السكان الزراعيين القادرين على العمل في ٥٠ محافظة من روسيا

عن التشدق بحماقات حول ١٪ (؟؟!!) من السكان الذين يعملون في صناعة المصانع والمعامل

الاوروبية بـ٣٥٧١٢ الفا في حين يقدرون بـ٣٠١٢٤ الفا فقط مجمل العمال الضروريين للزراعة وصناعات التحويل والاستخراج والنقل وغيرها من الصناعات وعليه ينعكس فائض العمال الزائدين تماما في رقم هائل ٥٥٨٨ الف شخص ، اي ما يؤلف مع العائلات ، حسب المعدل المتفق عليه ، ما لا يقل عن ١٥ مليون نسمة» (ويتكرر هذا القول في الصفحة ٣٤١)

اذا رجعنا الى هذه «الدراسة» ، رأينا انها لم «تدرس» الا استخدام العمل المأجور الحر من قبل الملاكين العقاريين ، والى هذه الدراسة اضاف السيد س كورولنكو «لمحة» عن روسيا الاوروبية «في المضمارين الزراعي والصناعي» وهو ، في هذه اللمحة ، يحاول (لا استناداً الى «دراسة» ما ، بل الى معطيات قديمة متوافرة) ان يقسم السكان العاملين في روسيا الاوروبية حسب اشغالهم وفيما يلي النتائج التي توصل اليها السيد س أ كورولنكو في ٥٠ محافظة من روسيا الاوروبية ٣٥٧١٢٠٠٠ عامل بالاجمال ، موزعين حسب اشغالهم كما يلي

في الزراعة	٢٧٤٣٥٤٠٠	٣٠١٢٤ الفا
في زراعة نباتات خاصة	١٤٦٦٤٠٠	
في المصانع والمعامل والمناجم	١٢٢٢٧٠٠	
اليهود	١٤٠٠٤٠٠	
في الصناعات الحرفية الغابية	قرابة ٢٠٠٠٠٠٠	
في تربية المواشي	قرابة ١٠٠٠٠٠٠	
في النقليات الحديدية	قرابة ٢٠٠٠٠٠	
في صيد السمك	قرابة ٢٠٠٠٠٠	
في الصناعات الحرفية المحلية والمهن غير الريفية وصيد الطيور والوحوش الفروية ، الخ ، الباقية	٧٨٧٢٠٠	

الحاصل ٣٥٧١٢١٠٠

ثالثاً ، وهذا هو التشويه الرئيسي والاوقح لنظرية ماركس حول عمل الرأسمالية التقدمي ، الثوري ــ من اين استخلصت ان «دور» الرأسمالية «التوحيدي» لا ينعكس الا في توحيد عمال المصانع ؟ أفلا تستمد الفكرة التي تكونها عن الماركسية من مقالات «اوتيتشيستفينيه زابيسكي» حول اضفاء الصفة الاجتماعية على العمل ؟ أفلا تقصر انت ايضاً هذه الظاهرة على العمل تحت سقف واحد ؟

ولكن كلا قد لا يجوز ، على ما يخيل ، توجيه اللوم بهذا الصدد الى نيق .ــون ، لأنه ، في الصفحة الثانية من مقاله في العدد ٦ من «روسكويه بوغاتستفو» ، يصف بدقة ظاهرة اضفاء الصفة الاجتماعيـــة على العمل من جانب الرأسمالية ملاحظاً بصـــواب علامتي هذه الظاهرة ١ ــ العمل من اجل المجتمع بأسره و٢ ــ توحيد مختلف الشغيلة من اجل الحصول على منتوج العمـــل المشترك . ولكن ، اذا كان الحال هكذا ، فلِم حُكم على «رسالة» الرأسمالية وفقاً لعدد عمال المصانع ، في حين ان هذه «الرسالة»

وهكذا وزع السيد كورولنكو (بشكل جيد او سيئ) **جميع** العمال حسب اشغالهم بينا السيد نيق .ــون ياخذ بصورة اعتباطية الفئـــات الثلاث الاولى ويتحدث عن ٥٥٨٨٠٠٠ من العمال «الزائدين تماماً» (؟؟) !

وفضلا عن هذه الغلطة ، لا يمكن الا نلاحظ ان حساب السيد كورولنكو في اقصى الاختصار وانعدام الدقة فان عدد العمال الزراعيين محـدد وفق معدل واحد يشمل روسيا كلها ؛ السكان غير المنتجين غير محسوبين عـلى حدة (ان السيد كورولنكو ، مشاطرة منه لعداء السلطات للسامية ، يصنف في هذه الفئة **اليهود** ! وهكذا يجب ان يكون عدد العمال غير المنتجين اكثر من ١٤٠٠٠٠٠ التجار ، الشحاذون ، المتشردون ، المجرمـون ، الخ .) ، عدد الحرفيين منخفض بصورة فاضحة (الفئة الاخيرة ــ الصناعات الحرفية المحلية والمهن غير الريفية) ، الخ .. لقد كان من الافضل امتناع كلياً عن اجراء حسابات كهذه .

تؤدّى بفضل تطور الرأسمالية واضفاء الصفة الاجتماعية على العمل عموماً ، بفضل نشوء البروليتاريا عموماً ، هذه البروليتاريا التي لا يضطلع عمال المصانع والمعامل ازاءها الا بدور الطليعة ، بدور الفصائل الامامية ولا جدال بالطبع في ان الحركة الثورية للبروليتاريا رهن في آن واحد بعدد هؤلاء العمال وتمركزهم ودرجة تطورهم ، الخ ، ولكن كل هذا لا يخولنا ادنى حق في **حصر «دور» الرأسمالية «التوحيدي» بعدد عمال المصانع والمعامل .** فان هذا يعني تضييق فكرة ماركس الى حد المستحيل .

اسوق مثلا ان فريدريك انجلس يتحدث في كراسه "Zur Wohnungsfrage" * عن الصناعة الالمانية ويشير الى انه لا يوجد في اي بلد آخر (فهو يتكلم عن اوروبا الغربية فقط) عدد من العمال الاجراء يملكون بستاناً او قطعة صغيرة من حقل كما في المانيا ، وهو يقول «**ان الصناعة الحرفية الريفية المرفقة بزراعة بستان او حقل ، تؤلف في المانيا اساساً واسعاً للصناعة الكبيرة الفتية**» ان هذه الصناعة الحرفية تنمو ويشتد ساعدها اكثر فاكثر (ونضيف من جانبنا كما في روسيا ايضاً) بقدر ما يشتد عوز الفلاحين الالمان الصغار ؛ ولكن **الجمع** بين الصناعة والزراعة في هذه الحال لا يشكل شرطاً **ليسر** الحرفي ، بل يشكل بالعكس شرطاً **لاضطهاد** اكبر وبما انه مربوط بمطرحه ، فهو مضطر الى القبول باي ثمن كان ، وهو بالتالي لا يقدم للرأسمالي قيمة زائدة وحسب ، بل يقدم له ايضاً قسماً ضخماً من اجرته (كما في روسيا ايضاً حيث نظام الانتاج الكبير المنزلي بلغ درجة هائلة من التطور) . ويواصل انجلس قوله «**هذا جانب واحد من القضية ؛ ولكن لها جانباً آخر . . . فمع انتشار الصناعة الحرفية ، تنجذب المناطق**

---

* ــ «في قضية السكن» . **الناشر** .

الفلاحية الواحدة تلو الاخرى في الحركة الصناعية للعصر الراهن وان هذا التحول الثوري في المناطق الزراعية بفعل الصناعة الحرفية هو الذي ينشر الثورة الصناعية في المانيا على نطاق اوسع بكثير مما كان في بريطانيا وفرنسا وهذا ما يوضح لنا لماذا وجدت الحركة العمالية الثورية في المانيا ، خلافا لما كان عليه الحال في بريطانيا وفرنسا ، مثل هذا الانتشار القوي على مساحات شاسعة من البلد بدلا من ان تبقى في المدن على وجه الحصر . وهذا ما يوضح بدوره نمو هذه الحركة الهادئ ، الراسخ ، الذي لا يقاوم وبديهي ان الانتفاضة الظافرة في العاصمة وسائر المدن الكبرى في المانيا لن تصبح في الامكان الا عندما تصبح معظم المدن الصغيرة والقسم الاكبر من المناطق الريفية ناضجة للانقلاب»

وهكذا ، انظروا ليس «دور الرأسمالية التوحيدي» وحسب ، بل ايضاً نجاح الحركة العمالية رهن ، كما نرى ، لا بعدد عمال المصانع وحسب ، بل ايضاً بعدد **الحرفيين** ! اما اصحابنا انصار الطرق الخاصة الذين يتجاهلون التنظيم الرأسمالي الصرف للاغلبية الساحقة من الصناعات الحرفية الروسية ، فانهم يعارضون هذه الصناعات ، بوصفها نوعاً من صناعة « شعبية» ، بالرأسمالية ، ويحكمون على «النسبة المئوية من السكان الموجودين مباشرة تحت تصرف الرأسمالية» استناداً الى عدد عمال المصانع ! وهذا ما يذكر بمحاكمة السيد كريفنكو حين قال ان الماركسيين يريدون ايلاء عمال المصانع الانتباه كله ، ولكن ، لما كان عدد هؤلاء العمال يبلغ مليوناً واحداً فقط من اصل ١٠٠ مليون ، فليس هذا سوى زاوية صغيرة من الحياة ، ومن يكرس نفسه لها أشبه بمن يكتفي بالعمل في مؤسسات الفئات المغلقة او في الجمعيات الخيرية (العدد ١٢ من «روسكويه بوغاتستفو») ان المصانع والمعامل هي اذن زاوية صغيرة من الحياة أشبه

بمؤسسات الفئات المغلقة والجمعيات الخيرية ! ! فيـــا للعبقري السيد كريفنكو ! اغلب الظن ان مؤسسات الفئات المغلقة على وجه الضبط هي التي تنتج السلع للمجتمع كلـــه ؟ اغلب الظن ان نظم مؤسسات الفئات المغلقة على وجه الضبط هي التي تفسر استثمار الشغيلة وانتزاع ملكيتهم ؟ اغلب الظن انه يجـــــب البحث في مؤسسات الفئات المغلقة على وجه الضبط عن ممثلي البروليتاريا الطليعيين القادرين على ان يرفعوا راية تحرير العمال ؟

ان هذه الاشياء لا تدهش على ألسنة الفلاسفـــة الصغار ، البرجوازيين ولكنك حين تلقى مثيلا لها عند السيد نيق .ـــون ، فان هذا يثير بعض الاسى

في الصفحة ٣٩٣ من «رأس المال» يورد ماركس معلومات عن تركيب السكان الانجليز ففي عام ١٨٦١ ، بلغ عـــدد السكان في انجلترا وويلس معاً ٢٠ مليون نسمة اما العمال العاملون في الفروع الرئيسية من صناعة المصانـــع والمعامل فيقـــــدر بـ١٦٠٥٤٤٠ * وعدد الخدم ١٢٠٨٦٤٨ ؛ وفي الطبعة الثانية يشير ماركس ، في ملاحظة ، الى نمو هذه الطبقة الاخيرة نمواً سريعاً جداً تصوروا الآن انه وجد في انجلترا «ماركسيون» يعمدون ، سعياً منهم للحكم على «دور الرأسمالية التوحيدي» ، الى قسمة

---

* ٦٤٢٦٠٧ اشخاص يعملون في صناعة النسيج وفي انتاج الجوارب والكلسات والدانتيللا (ان عشرات الآلاف من النساء يعملن عندنا في حرفة الجوارب والكلسات والدانتيللا ويتعرضن لاشد استثمار لا يصدق من جانب «التاجرات» اللواتي يعملن من اجلهن ان الاجرة تبلغ احياناً ٣ (كذا !) كوبيكات في اليوم ! وهؤلاء النســـوة ، ايها السيد نيق .ـــون ، ألسن «مباشرة تحت تصرف الرأسمالية» ؟) ؛ ثم ان ٥٦٥٨٣٥ شخصاً يعملون في مناجـــــم الفحم والمعادن و٣٩٦٩٩٨ في جميع صناعـــــات المعادن والمانيفاكتورات

١,٦ مليون على ٢٠ ! ! فيكون الحاصل ٨٪ ، اي **اقل من جزء من اثنى عشر جزءاً ! ! !** فكيف يمكن التحدث عن «رسالة» الرأسمالية اذا كانت لم توحد ولو جزءاً من اصل اثني عشر جزءاً من السكان ! ثم ان طبقة «عبيد المنازل» تنمو بمزيد من السرعة وهي خسارة تامة من «العمل الشعبي» تشهد على اننا «نحن» الانجليز نسير في «سبيل غير قويم» ! أليس من الواضح انه ينبغي «لنا» ان «نبحث من اجل وطننا عن سبل اخرى للتطور» ، عن سبل غير رأسمالية ؟ !

بقيت في حجج السيد نيق ـ ون نقطة اخرى .فهو حين يقول ان الرأسمالية في بلادنا لا تحمل معها ذلك الدور التوحيدي الذي «اكثر ما يصف اوروبا الغربية والذي **يبدأ في الظهور بقوة خاصة في اميركا الشمالية**» ، انما يقصد ، اغلب الظن ، الحركة العمالية وهكذا يجب علينا ان نبحث عن سبل اخرى لأن الرأسمالية في بلادنا لا تحمل معها الحركة العمالية . هذه الحجة ، على ما يبدو ، سبق وادلى بها السيد ميخايلوفسكي فقد قال معلماً الماركسيين ان ماركس قد عمل مع بروليتاريا متكونة جاهزة وحين ابدى له احد الماركسيين ملاحظة مفادها انه لا يرى (اي ميخايلوفسكي ـ **المعرب**) في البؤس غير البؤس ، اجاب كما يلي هذه الملاحظة ، كما هي العادة ، مستقاة بكليتها من ماركس واضاف بيد اننا اذا راجعنا هذا المقطع من «بؤس الفلسفة» ، لرأينا انه لا يمكن تطبيق هذا على امورنا ، وان بؤسنا هو بؤس وحسب ـ ولكننا في الواقع لن نرى شيئاً في «بؤس الفلسفة» . فان ماركس يقول في هذا الكتاب عن شيوعيي المدرسة القديمة انهم لا يرون في البؤس غير البؤس ، وانهم لا يلحظون جانبه الثوري ، المدمّر ، الذى سيطيح بالمجتمع القديم . اغلب الظن ان عدم «ظهور» الحركة العمالية هو ما يتخذه السيد ميخايلوفسكي

اساساً للتأكيد باستحالة تطبيق هذا على امورنا وبصدد هذه الآراء ، نلاحظ ، اولا ، ان الاطلاع السطحي ولا اكثر على الوقائع هو وحده الذى يمكن له ان يوحي بالفكرة القائلة ان ماركس كان يعمل مع بروليتاريا متكونة جاهزة ان البرنامج الشيوعي الذى وضعه ماركس انما وضعه قبل عام ١٨٤٨ . فاي حركة عمالية * كانت آنذاك في المانيا ؟ لم يكن ثمة وجود آنذاك للحرية السياسية ، وكان عمل الشيوعيين محصوراً في حلقات سرية (كما هو عليه الحال عندنا الآن) والحركة العمالية الاشتراكية-الديموقراطية التي اظهرت للجميع بكل جلاء دور الرأسمالية الثوري والتوحيدي ، بدأت بعد عقدين من السنين ، حين تكوّن مذهب الاشتراكية العلمية نهائياً ، وحين انتشرت الصناعة الكبيرة بمزيد من الاتساع ، وظهرت جماعات من الناشرين ذوي الموهبة والهمة لهذا المذهب في اوساط العمال وان فلاسفتنا ، اذ يعرضون الوقائع التاريخية بصورة مغلوطة وينسون بالغ الجهد الذي بذله الاشتراكيون من اجل اشاعة الوعي وروح التنظيم في الحركة العمالية ، ينسبون فضلا عن ذلك الى ماركس آراء قدرية خرقاء ولا اخرق فكأن تنظيم العمال وتوحيدهم ، حسب رأيه ، يجريان عفوياً من تلقاء نفسيهما ، ولذا ، كما يزعمون ، اذا لم نر الحركة العمالية حين نرى الرأسمالية ، فمرد ذلك الى ان الرأسمالية لا تؤدي الرسالة ، لا الى اننا ما نزال نبذل القليل من الجهد من اجل هذا التنظيم وهذه الدعاية بين العمال ان هذه الحيلة التي يلفقها

---

* اما الى اي حد كان عدد افراد الطبقة العاملة قليلا آنذاك ، فهذا ما يمكن تكوين فكرة عنه من واقع ان ماركس قد كتب **بعد ٢٧ سنة** ، اي في سنة ١٨٧٥ ، يقول «ان الشعب الشغيل في المانيا يتألف باغلبيته من الفلاحين لا من البروليتاريين» (٧٥) وهكذا اليكم ما يعنيه «العمل (؟؟) مع بروليتاريا متكونة جاهزة» !

فلاسفتنا انصار الطرق الخاصة ، هذه الحيلة المفعمة خوفاً وتفاهة وضيق افق لا تستحق حتى مجرد دحضهـــا فان كـــل نشاط الاشتراكيين-الديموقراطيين في جميع البلدان يدحضها ، وتدحضها كل كلمة يلقيها اي ماركسي كان امام الجمهـــور وان الاشتراكية-الديموقراطية ، كما يقول كاوتسكي بحق وصواب كاملين ، انما هي اندماج الحركة العمالية مع الاشتراكية ولكي «يظهر» عمل الرأسمالية التقدمي عندنا ايضاً ، يجب على اشتراكيينا ان ينكبوا على عملهم بكل العزيمة ؛ يجب عليهم ان يصوغوا مفهوماً ماركسياً ادق عن التاريخ الروسي والواقع الروسي ، دارسين بصورة ملموسة اكثر جميع اشكال النضال الطبقي والاستثمار التي شدَّ ما شُوِّهت وطُمست في روسيا ثم يجب عليهم ان ينشروا هذه النظرية في صفوف الشعب ، وان يحملوها الى العامل ، يجب عليهـــم ان يساعدوا العامل على استيعابهـــا وان يستنبطوا **الشكل التنظيمـــي** الاكثر **ملاءمة لظروفنا من اجل نشر الاشتراكية-الديموقراطية ودعم العمال في قوة سياسية** وان الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس لم يزعموا قط انهم انهوا ، انجزوا هذا العمل ، عمل مفكـــري الطبقة العامِلة (وهو عمل لا نهاية له) ، وليس هذا وحسب ؛ بل انهم ، على العكس ، اشاروا دائماً الى انهم انما بدأوه للتو ، وانه لا يزال ينبغي الكثير من الجهود يبذلها الكثيرون والكثيرون مـــن الناس لانشاء شيء ما راسخ .

وعلاوة على فهم نظرية ماركس فهماً ناقصـــاً غير مرض ، وضيقاً بصورة فاضحة ، يبدو ان هذا الاعتراض الدارج القائل بأن رأسماليتنا لا تقوم باي دور تقدمي ، يرتكز كذلك على الفكرة الخرقاء التي تتحدث عن «نظام شعبي» خرافي

حين ينقسم «الفلاحون» في «المشاعة» الشهيرة الى فقراء واغنياء ، الى ممثلين عن البروليتاريا وممثلين عن الرأسمال (ولا

سيما الرأسمال التجارى) ، حينذاك لا يريدون ان يروا هنا رأسمالية جنينية ، قروسطية ، فيلزمون الصمت حول تركيب القريـــــة السياسي والاقتصادي ، ولكنهم ، بحثاً عن «سبل اخرى للوطن» ، يعظون باسهاب حول التغيرات في شكل **ملكية** الفلاحين للارض ، الشكل الذي يخلطونه خلطاً لا عذر له مع شكل التنظيم الاقتصادي كان تمايز الفلاحين البرجوازي الصرف لم يزدهر عندنا في صلب «مشاعة المساواة» بالذات وعندما تتضخم هذه الرأسمالية بسبيـــــل التطور وتتجاوز الاطارات الضيقة للرأسماليـــــة القروسطية ، الريفية ، وتحطم سلطان الارض الاقطاعي وتجبر الفلاح الذي حل به الخراب والجوع كلياً من زمان على ترك الارض للمشاعة من اجل توزيعها بالتساوي بين الكولاك الظافرين ، وعلى مغادرة القريـــــة والتسكع في عموم روسيا ، قاضياً حقبة كبيرة من الوقت بلا عمل ، وعلى الاستخدام اليوم عند الملاك العقاري وغداً عند المتعهد في بناء سكة حديدية ، ثم الاشتغال فاعلا يدوياً في المدينة او اجيراً زراعياً عند فلاح غني الخ .؛ وعندما يرى هذا «الفلاح» الذي يغير ارباب عمله في عموم روسيا ، انه ، حيثما يكون ، يتعرض لنهب وقح ولا اوقح ، ويرى انهم ينهبون معه جماعة مثله من الفقراء ، ويرى ان من ينهب ليس حتماً «سيداً» وحسب بـــل «اخوه الموجيك» ايضاً ، هذا اذا كان لهذا الاخير المال اللازم لشراء قوة العمل ، وعندما يرى كيف تخدم الحكومة في كل مكان ارباب عمله ، ، وتضيق حقوق العمال وتسحق بحجة العصيـــان كل محاولة للدفاع عن ابسط حقوقهم ، وعندما يرى كيف يزداد عمل العامل الروسي توتراً على توتر ابداً ودائماً ، وكيف يتنامى الثراء والبذخ اسرع فأسرع ، بينا وضع العامل يتفاقم اكثر فاكثر ، وتشتد مصادرة الملكية ، وتصبح البطالة قاعدة ، ــ في هذه الاثناء ، يبحث اصحابنا نقاد الماركسية عن سبل اخرى للوطن ، في هذه

الاثناء ، ينكبون على حل هذه المعضلة العويصة : هل يمكن اعتبار عمل الرأسمالية تقدمياً عندما نرى عدد عمال المصانع ينمو ببطء ، وهل لا يصح انكار رأسماليتنا واعتبار سبيلها غير قويم لأنها «تؤدي رسالتها التاريخية بصورة سيئة ، سيئة جداً جداً»

فيا للشاغل النبيل الانساني العميق ، أليس كذلك ؟

واي مذهبيين ضيقين هؤلاء الماركسيون الاشرار حين يقولون ان البحث عن سبل اخرى للوطن بينا الاستثمار الرأسمالي يحل بالشغيل في كل مكان من روسيا ، ــ انما يعني الهرب من الواقع الى ميدان الطوباويات ، وحين يجدون ان من يؤدي رسالته بصورة سيئة ليست رأسماليتنا ، بل الاشتراكيون الروس الذين لا يريدون ان يفهموا ان الحلم بانتهاء النضال الاقتصادي المزمن بين طبقات المجتمع الروسي المتناحرة ، انما يعني السقوط في المانيلوفية (٧٦) ، ولا يريدون ان يفهموا انه ينبغي بالتالي بذل الجهد لجعل هذا النضال نضالا منظماً وواعياً ، والانصراف لهذا الغرض الى العمل الاشتراكي-الديموقراطي .

وختاماً ، لا بد من الاشارة الى حملة اخرى من السيد نيق .ــ ون على السيد ستروفه في العدد ٦ نفسه من «روسكويه بوغاتستفو»

يقول السيد نيق .ــ ون «لا بد من لفت الانتباه الى سمة خاصة في مناظرة السيد ستروفه فقد كتب للجمهور الالماني وفي مجلة المانية جدية ، ولكنه لجأ الى اساليب تبدو لي غير لائقة اطلاقاً يجب الظن ان ليس الجمهور الالماني وحسب ، بل الجمهور الروسي ايضاً قد نما «حتى سن الرشد» فلا يؤخذ بمختلف «البعابع» التي يحفل بها مقاله . ان «الطوباوية» و«البرنامج

الرجعي» وغيرهما من التعابير المماثلة تتوارد في كل من اعمدته ، ولكن هذه «الكلمات الرهيبة» ، مع الاسف ، لم تعد قطعاً لتحدث ذلك التاثير الذي كان السيد ستروفه ، اغلب الظن ، يأمل فيـــه» (ص ١٢٨)

لنحاول ان تحلل ونرى ما اذا كانت في مناظرة السيديـــن نيق .ـــون وستروفه هذه «اساليب غير لائقة» ، ومن ذا الذي يلجأ اليها في حال وجودها

يُتـّهم السيد ستروفه باللجوء الى «اساليب غير لائقة» لأنه في مقال جدي يحاول ان يأخذ الجمهور «بالبعابع» و«الكلمات الرهيبة»

ان اللجوء الى «البعابع» و«الكلمات الرهيبة» يعني وصف الخصم باوصاف سلبية جداً ، دوافعها في الوقت نفسه غير واضحة وجلية ، باوصاف لا تنبع حتماً من وجهة نظر الكاتب (وجهة نظر معروضة بدقة) ، بل تعرب عن مجرد الرغبة في التقريع والتوبيخ

واضح ان هذه العلامة الاخيرة وحدها هي التي تحيل النعوت السلبية جداً الى «بعابع» فان السيد سلونيمسكي قد تحدث عن السيد نيق .ـــون بكلمات عنيفة ، ولكن بما انه صاغ في هذه الحال وجهة نظره بوضوح ودقة ، وجهـــة نظره كليبيرالي عادي عاجز اطلاقاً عن فهم طابع النظم الحالية البرجوازي ، وصاغ بوضوح كامل حججه الطريفة المدهشة ، فانه من الممكن اتهامه بجميع التهم ما عدا اللجوء الى «اساليب غير لائقة» . كذلك اعرب السيد نيق .ـــون ، بتعابير عنيفة عن رأيه بالسيد سلونيمسكي ، واورد لـــــه ، فيما اورد ، على سبيل الوعظ والارشاد ، كلمات ماركس «التي ثبتت صحتها عندنا ايضاً» (باعتراف السيد نيق ـــ ون) بصدد الطابع **الرجعي والطوباوي** الذي يتسم به الدفاع عن الانتاج الحرفي الصغير والملكية الفلاحية الصغيرة للارض ، هذا الدفاع الذي يريد

السيد سلونيمسكي ان يتولاه ، واتهمه «بالضيق» و«**السذاجة**» ، الخ انظروا ، ان مقـــال السيد نيق .ـــون «يحفل» بنفس النعوت (المشار تحتها باشـــارة التاكيد) الواردة في مقال السيد ستروفه ، ولكننا لا نستطيع القول «باساليب غير لائقة» ، لأن كل هذا له دوافعه ، لأن كل هذا ينبع من وجهة نظر معينة ومن نظام معين من المفاهيم يتبناهما المؤلف ، وقد يكونان خاطئين ، ولكنه لا يجوز بعد قبولهما نعت الخصم الا بنعت الطوباوي الرجعي ، الضيق ، الساذج .

لنر ما هو الحال في مقال السيد ستروفه فهو ، اذ يتهم السيد نيق .ـــون بالطوباوية التي لا بد ان يصدر عنها برنامج رجعي ، وبالسذاجة ، يشير بوضوح كامل الى الاسباب التي قادته الى هذا الرأي اولا رغبة في «اضفاء الصفـــة الاجتماعية على الانتاج» ، «يستنجد» السيد نيق .ـــون «بالمجتمع (كذا !) والدولة» وهذا مـــا «يثبت ان مذهب ماركس بصدد النضـــال الطبقي والدولة غريب كلياً عن الاقتصادي السياسي الروسي» ان دولتنا «ممثلة الطبقات الحاكمة» .ـــ ثانياً «اذا عارضنـــا الرأسمالية **الفعلية** بنظام اقتصادي **خيالي يجب** ان يظهر بكل بساطة **لأننا نريده** نحن ، وبتعبير آخر ، اذا اردنا اضفاء الصفة الاجتماعية على الانتاج خارج الرأسمالية ، فان هذا لا يشهد الا على فهم ساذج لا ينطبق على التاريخ» فمع تطور الرأسمالية وازاحة الاقتصاد الطبيعي وانخفاض عدد سكان الريف ، «تخرج الدولة الحديثة من الظلمـــات التي لا تزال تلفهـــا في زمننا البطريركي (نحن نقصد روسيا) ، تخرج الى وضح النضال الطبقي السافر ، واذ ذاك لا بدّ من البحث عن قوى وعوامل اخرى من اجل اضفاء الصفة الاجتماعية على الانتاج»

ترى ، أليست هذه دوافـــع على درجة كافية من الدقـــة والوضوح ؟ وهل يمكن نفي صحة اشارات السيد ستروفه الملموسة

الى افكار المؤلف ؟ وهل اخذ السيد نيق . ــ ون فعلا بالحسبان النضال الطبقي الملازم للمجتمع الرأسمالي ؟ كلا فهو يتحدث عن المجتمع والدولة ناسياً هذا النضال ، مستبعداً اياه فهو يقول ، مثلا ، ان الدولة دعمت الرأسمالية ، عوضاً عن ان تضفي الصفة الاجتماعية على العمل بواسطة المشاعة ، الخ واضح انه يعتبر انه كان في مستطاع الدولة ان تنحو هذا النحو او ذاك وانها تقف بالتالي **خارج الطبقات** أوليس من الجلي ان اتهام السيد ستروفه باللجوء الى «البعابع» اتهام باطل **صارخ** ؟ أوليس من الجلي ان كل امرئ يفكر بان دولتنا دولة طبقية لا بدّ له ان يعتبر ذاك الذي يتوجه الى هذه الدولة لكي تضفي الصفة الاجتماعيـــة على العمل ، اي لكي تمحو الطبقات الحاكمة ، طوباوياً رجعياً وساذجاً ؟ وهناك اشياء اخرى ان اتهـــام الخصم باللجوء الى «البعابـــع» **ولزوم الصمت** عن المفهوم الذي صاغه هذا الخصم والذي ينبع منه تقديره ، رغم صياغته الواضحة لهذا المفهوم ، واتهامه فضلا عن ذلك في مجلة خاضعة للرقابة لا يمكن ان يتسرب اليها هذا المفهوم ، ألا ينبغي اعتباره «اسلوباً غير لائق اطلاقاً» ؟

لنتابع . حجة السيد ستروفه الثانية لا تقل صياغتها وضوحاً . ان يكون اضفاء الصفة الاجتماعية على العمل خارج الرأسماليـــة وبواسطة المشاعة نظاماً خيالياً ، الا ان هذا امر لا ريب فيه ، لأنه لا وجود لهذا النظام في الواقع وهذا الواقع يرسمه السيد نيق .ــون نفسه كمـــا يلي قبل عام ١٨٦١ ، كانت الوحدات الانتاجية تقتصر على «العائلة» و«المشاعة» («دراسات» ، ص ص ١٠٦ــ١٠٧) ان هذا «الانتاج الصغير المبعثر الذي يكفي نفسه بنفسه لم يكن في مقدوره ان يتطور الى حد كبير ؛ ولهذا فان ما يصفه ، انما هو الرتابة القصوى وقلة الانتاجية» . وقد تقوم التغير اللاحق في كون «التقسيم الاجتماعي للعمل ازداد ابداً ودائماً عمقاً على عمق» .

وينجم عن ذلك ان الرأسمالية قد حطمت الحدود الضيقة للوحدات الانتاجية السابقة واضفت الصفة الاجتماعية على العمل في اطار المجتمع كله **ان هذا الاضفاء للصفة الاجتماعية على العمل من جانب رأسماليتنا يعترف به السيد نيق .ـ ون ايضا** . ولذا فهو طوباوي رجعي ، حين يرغب في الاعتماد ، من اجل اضفاء الصفة الاجتماعية على العمل ، لا على الرأسمالية التي **سبق لها واضفت الصفة الاجتماعية على العمل** ، بل على المشاعة التي **آل تحطيمها بالضبط ، للمرة الاولى ، الى اضفاء الصفة الاجتماعية على العمل في اطار المجتمع كله** هذه هي فكرة السيد ستروفه ومن الممكن اعتبارها صائبة او خاطئة ، ولكنه لا يمكن النكران ان من هذا الرأي انبثق ، بحتمية منطقية ، حكمه الصارم على السيد نيق .ـ ون ، وانه لهذا السبب لا مجال للحديث عن «البعابع»

وهناك اشياء اخرى . فحين يختم السيد نيق .ـ ون مناظرته مع السيد ستروفه بان ينسب الى خصمه الرغبة في انتزاع الارض من الفلاحين («اذا كان المقصود بالبرنامج التقدمي انتزاع الارض من الفلاحين فان مؤلف «دراسات» محافظ») ـ رغم ان السيد ستروفه اعلن صراحة انه يريد اضفاء الصفة الاجتماعية على العمل ويريد هذا بواسطة الرأسمالية ، ويريد لهذا الغرض الاعتماد على القوى التي ستظهر في «وضح النضال الطبقي السافر» ، ـ فلا بد من القول بان هذا التصرف مغاير تماماً للحقيقة واذا اخذنا بعين الاعتبار انه لم يكن في مقدور السيد ستروفه ان يتحدث ، في صحافة خاضعة للرقابة ، عن القوى التي تظهر في وضح النضال الطبقي السافر ، وان فم خصم السيد نيق .ـ ون كان بالتالي مكموماً ، فانه يكاد يكون من المستحيل آنذاك ان ننكر ان اسلوب السيد نيق .ـ ون هو اطلاقاً «اسلوب غير لائق» .

الملحق الثالث

عندما اتحدث عن فهم الماركسية الضيق ، فانمـــا اقصد الماركسيين انفسهم . فلا بدّ من الملاحظة بهذا الصدد ان الماركسية تبدو ضيقة ومشوهة بصورة فظيعة حين يعمد اصحابنا الليبيراليون والراديكاليون الى عرضها في صفحات الصحف المشروعة فيا له من عرض ! فكروا الى اي حد ينبغي تشويه هذا المذهب الثوري لكي يمدد على سرير بروكروست (٧٧) ، سرير المراقبة الروسية ! وها ان اصحابنا الصحافيين يقدمون على هذه العملية بكل خفـــة واطمئنان فان الماركسية ، كما يعرضونها ، تنحصر ، او تكاد ، في تعليم كيف يتم ، في النظام الرأسمالي ، التطور الديالكتيكي للملكية الفردية القائمة على عمل الملاكين ؛ وكيف تتحول هذه الملكية الى نقيضها فتصبح ملكية اجتماعية وفي هذا «المخطط» يحصرون ، باكثر ما يكون من الجد ، كل مضمون الماركسية ، طارحين جانباً جميع خصائص طريقتها في علم الاجتماع ، طارحين جانباً مذهب النضال الطبقي ، طارحين جانباً موضوع ابحاثها المباشر بالذات ـ كشف جميع اشكال التناحر والاستثمار بقصد مساعدة البروليتاريا في التخلص منها . فلا عجب اذا كان ما ينجم عن هذا «المخطط» باهتاً وضيقاً الى حد ان اصحابنا الراديكاليين اخذوا يشفقون على الماركسيين الروس المساكين . وكيف لا ! فان الحكم المطلق الروسي

والرجعية الروسية ما كانا على ما هما عليه الآن لو كان بالمستطاع ، ما داما قائمين ، عرض الماركسية برمتها ، وبدقة وكمال ، مع صياغة استنتاجاتها الى النهاية ! ولو ان اصحابنـــا الليبراليين والراديكاليين كانوا يعرفون الماركسية حقاً (على الاقل عن طريق المطبوعات الالمانية) ، لتحاشوا ، بدافع الوجدان ، تشويهها على هذا النحو في صفحات الصحف الخاضعة للرقابة فاذا كنت لا تستطيع عرض نظرية من النظريات ، فاسكت او قل بتحفظ ان ما تعرضه ليس كل مـــا في الامر ، وانك تدع الامـر الجوهري الرئيسي جانباً ؛ ولكن ، لماذا تزعق بالضيق عندما تعرض الامر نتفاً نتفاً ؟

لا يمكن التوصل الا على هذا النحو الى هذا الشيء الغريب الممكـــن في روسيـــا فقط ، وهـــو ان يُصَنَّف في عـــداد الماركسيين اناس ليست لهم اية فكرة عن نضال الطبقات ، وعن التناحر الضروري الملازم للمجتمع الرأسمـــالي ، وعن تطور هذا التناحر ؛ اناس ليست لهم اية فكرة عن دور البروليتاريا الثوري ؛ بل اناس ينادون بمشاريع برجوازية خالصة ، شرط ان توجد عندهم تعابير مثل «الاقتصاد القائم على المال» ، و«ضرورة» هذا الاقتصاد ، وغير ذلك من التعابير المماثلة ، التي تقتضي من المرء ان يكون لديه كل عمق ودقة تفكير السيد ميخايلوفسكي ، لكي يعترف بانها ماركسية خالصة .

والحـــال ، يعتبر ماركس ان كل قيمة نظريته تنحصر في كونها ، «من حيث جوهرها ، نظرية انتقادية * وثورية» (٧٨)

---

* لاحظوا ان ماركس يتحدث هنا عن الانتقاد المادي ، الانتقـــاد الوحيد الذي يعتبره علمياً ، اي الانتقاد الذي يربط بين الوقائع السياسية الحقوقية ، والاجتماعية ، والمعيشية ، الخ . ، وبين الاقتصاد ، ونظـــام

ان هذه الصفة الاخيرة هي ، بالفعل ، ملازمة تماماً واطلاقاً **للماركسية** ، لأن هذه النظرية تضع امام عينيها مباشرة ، مهمة قوامها **الكشف** عن جميع اشكال التناحر والاستثمار في المجتمع المعاصر ، واتباع تطورها ، وتبيان طابعها العرضي وتحولها المحتوم الى شكل آخر ، **وبالتالي مساعدة البروليتاريا في القضاء على كل استثمار ، باسرع واسهل ما يمكن** . ان هذه النظرية التي تجتذب اشتراكيي جميع البلدان ، انما تتمتع بقوة جاذبية لا تقاوم ، تكمن في كونها تجمع الروح الثوري مع طابع علمي رفيع ودقيق (بوصفها آخر ما توصلت اليه العلوم الاجتماعية) ، وهي لا تجمعهما ابداً بدافع الصدفة ، وليس فقط لأن مؤسس هذا المذهب كان يجمع في نفسه صفات العالم والثوري ؛ انما تجمعهما في النظرية بالذات ، بوثوق ضمني لا انفصام لعراه . وبالفعل ، نرى ان مهمة النظرية ، ان هدف العلم ، مصوغ هنا بوضوح مساعدة طبقة المظلومين في النضال الاقتصادي الذي تخوضه فعلا

«نحن لا نقول للعالم : كف عن النضال ـ فكل نضالك باطل انما نعطيه فقط الشعار الحقيقي للنضال» (٧٩)

وهكذا يرى ماركس ان مهمة العلم الصريحة هي ان يعطي شعاراً حقيقياً للنضال ، اي ان يعرف كيف يعرض هذا النضال بموضوعية بوصفه نتاج نظام معين من علاقات الانتاج ؛ ان يعرف كيف **يدرك** ضرورة هذا النضال ومحتواه وسير تطوره وشروط

علاقات الانتاج ، ومصالح الطبقات التي تتشكل بالضرورة في ميدان جميع العلاقات الاجتماعية التناحرية ان تكون العلاقات الاجتماعية في روسيا علاقات تناحرية ، فليس ثمة شخص قد يشك ابداً في ذلك . ولكن ما من احد حاول حتى الآن ان يبني عليها **مثل** هذا الانتقاد .

تطوره فلا يمكن اعطاء «شعار للنضال» دون دراسة كل شكل من اشكال هذا النضال بكل تفاصيله ، دون تتبع هذا النضال خطوة فخطوة حين ينتقل من شكل الى آخر ، لكي نعرف كيف نحدد الوضع لدى كل لحظة معينة ، دون ان يغيب عن البال الطابع العام للنضال ، وهدفه العام ، اي القضاء تماماً ونهائياً على كل استثمار وكل ظلم

حاولوا ان تقارنوا بنظرية ماركس «الانتقادية والثورية» هذا الخليط الغث الذي عرضه «صاحبنا المعروف جيداً» ن ك ميخايلوفسكي ، في «انتقاد»ه وضد ما شن حربه ، ـ فانكم لتدهشون ان يكون ثمة ، بالفعل ، اناس يدعون بانهم «مفكرو الطبقة الكادحة» ويكتفون بهذه «الحلقة المسطحة» التي يصنعها اصحابنا الصحفيون من نظرية ماركس اذ يمحون منها كل عنصر من عناصر الحياة

حاولوا ان تقارنوا بمقتضيات هذه النظرية ادب الشعبيين في بلادنا الذي ينطلق ايضاً من الرغبة في ان يكون مفكر الشغيلة ، هذا الادب المكرس لتاريخ ووضع نظمنا الاقتصادية الحالي بوجه عام والفلاحين بوجه خاص ، ـ فانكم لتدهشون ان يستطيع الاشتراكيون الاكتفاء بنظرية كهذه ، تقتصر على دراسة البلايا ووصفها وعلى القاء المواعظ الاخلاقية بصدد هذه البلايا فان هذه النظرية لا تعرض القنانة بوصفها شكلا معيناً للتنظيم الاقتصادي الذي كان يولد هذا الاستثمار او ذاك ، هذه الطبقات المتناحرة او تلك ، هذا النظام السياسي ، والحقوقي ، الخ او ذاك ، انما تكتفي بان تعرض القنانة بوصفها سوء تصرف من جانب الملاكين العقاريين ، بوصفها ظلامة بحق الفلاحين وهي لا تعرض الاصلاح الفلاحي بوصفه تصادماً بين اشكال اقتصادية معينة وبين طبقات اقتصادية معينة ، انما تعرضه بوصفه تدبيراً صادراً عن السلطة العليا التي «سلكت سبيلا خاطئاً» ، رغم كل نواياها الطيبة . وهي

تصور روسيا بعد الاصلاح كأنها انحرفت عن السبيل القويم ، ــ ولذا كانت البلايا التي تصيب الشغيل ، ــ ولا تصورها كنظام معين من علاقات انتاجية متناحرة تتطور بطريقة معينة .

غير انه من الاكيد الآن ان هذه النظرية تفقد من مكانتها وكلما ادرك الاشتراكيون الروس بسرعة انه لا يمكن ان تكون ثمة نظرية ثورية خارج الماركسية بالنظر الى مستوى المعارف الراهن وكلما بذلوا جميع جهودهم بسرعة من اجل تطبيق الماركسية في روسيا ، في الميدانين النظري والتطبيقي ، ــ كان نجاح العمل الثوري آمن واسرع

ولكي نبين بوضوح اي فساد يشيعه السادة «اصدقاء الشعب» في «الفكر الروسي الفقير» الحالي بدعوتهم المثقفين الى القيام بالتأثير الثقافي في «الشعب» بغية «خلق» صناعة حقيقية ، صحيحة ، الخ ، نعرض رأي اناس تختلف طريقة تفكيرهم اختلافاً شديداً عن طريقتنا ، عنينا بهم «النارودوبرافيين» ، هؤلاء الورثة المباشرين الاقربين للنارودوفوليين انظر كراس «المسألة الملحة» ، عام ١٨٩٤ مطبوعات حزب «نارودنويه برافو» («حق الشعب»)

فان النارودوبرافيين ، بعد ان يردوا رداً رائعاً على هذا الضرب من الشعبيين الذين يقولون انه «يجب على روسيا ان لا تتخلى ، باي ذريعة كانت ، وحتى بشرط التمتع بحرية واسعة ، عن تنظيمها الاقتصادي الذي يؤمن (!) للشغيلة وضعاً مستقلا في الانتاج» ، والذين يقولون «ان ما نحن بحاجة اليه ، ليس الاصلاحات السياسية ، بل الاصلاحات الاقتصادية المنهاجية المطبقة بدأب وانتظام» ، ــ يواصلون القول :

«نحن لسنا من المدافعين عن البرجوازية ولسنا بالاحرى من المعجبين بمثلها العليا ، ولكن اذا خوّل الحظ التعيس الشعب الاختيار بين «الاصلاحات الاقتصادية المنهاجية» في كنف زيمسكييه ناتشالنيكي الذين يحمونها بكل غيرة من تطاولات البرجوازية وبين هذه الاخيرة في ميدان الحرية السياسية ، اي بشروط **تؤمن** للشعب الدفاع المنظم عن مصالحه ، ــ فاننا نعتقد ان الشعب سيكسب حقاً وفعلا اذا اختار الاخيرة فليس عندنا الآن «اصلاحات سياسية» تهدد بحرمان الشعب من الاستقلال الوهمي في تنظيم اقتصاده ، انما هناك ما اصطلح الجميع في كل مكان على اعتباره سياسة برجوازية تتجسد في استثمار العمل الشعبي باشد الاشكال فظاظة وليس عندنا الآن لا حرية واسعة ولا حرية ضيقة ، انما هناك مصالح للفئات المغلقة تتمتع بحماية لم يعد يحلم بها ملاكو الاراضي والرأسماليون في البلدان الدستورية وليس عندنا الآن «برلمانية برجوازية» ، والمجتمع مقصي على بعد طلقة بندقية عن تصريف الامور وعندنا السادة اضراب نايدينوف وموروزوف وكازي وبيلوف (٨٠) ، الذين يطالبون بسور الصين من اجل صيانة مصالحهم ، فضلا عن ممثلي «طبقة نبلائنا المخلصة» الذين ذهبوا الى حد المطالبة بمنحهم قرضاً مجانياً قدره ١ روبل بكل ديسياتين ويدعونهم الى اللجان ، ويصغون اليهم باجلال ، وصوتهم هو كلمة الفصل في اهم القضايا المتعلقة بحياة البلد الاقتصادية وفي الوقت نفسه ، من ذا الذي يهب دفاعاً عن الشعب ، واين ؟ ألعلهم زيمسكييه ناتشالنيكي ؟ أليس من اجل الشعب يعتزمون انشاء فصائل من العمال الزراعيين ؟ أولم يُعلن الآن بصراحة اقرب الى الصفاقة ان الشعب مُنح قطعاً من الارض لغرض وحيد ، لكي يدفع الضرائب ويسدد الاتاوات ، كما اعرب عن ذلك حاكم محافظة فولوغدا في رسالة دورية له ؟ انه لم يفعل

غير ان صاغ وقال جهاراً ما يحققه الحكم الاوتوقراطي بشكل لا مناص منه او بالاصح ، الحكم المطلق الدواويني ، في سياسته»

وايا كان الغموض الذي لا يزال يلف افكار النارودوبرافيين عن «الشعب» الذي يريدون الدفاع عن مصالحه ، وعن «المجتمع» الذي لا يزالون يرون فيه هيئة جديرة بالثقة صالحة لحماية مصالح العمل ، ــ فانه لا يجوز الامتناع على كل حال عن الاعتراف بان تشكيل حزب «نارودنويه برافو» («حق الشعب») خطوة الى الامام ، خطوة نحو الاقلاع نهائياً عن الاوهام والاحلام «بسبل اخرى للوطن» ، نحو الاقرار بجرأة بالسبل الفعلية والبحث في ميدانها عن عناصر قادرة على خوض النضال الثوري وهنا يظهر بوضوح الطموح الى تاليف حزب ديموقراطي واقول «الطموح» فقط ، لأن النارودوبرافيين ، مع الاسف ، لا يطبقون وجهة نظرهم الاساسية بدأب وانسجام . فهم لا يزالون يتحدثون عن الاتحاد والتحالف مع الاشتراكيين ، ولا يرغبون في ان يفهموا ان جذب العمال الى الراديكالية السياسية الخالصة يعني فقط انتزاع العمال المثقفين عن جمهور العمال ، يعنى الحكم على الحركة العمالية بالعجز ، لأن هذه الحركة لا تستطيع ان تكون قوية الا شرط الدفاع كلياً وفي جميع النقاط عن مصالح الطبقة العاملة ، شرط خوض نضال اقتصادي ضد الرأسمال يرتبط ارتباطاً لا انفصام لعراه بالنضال السياسي ضد خدم الرأسمال وهم لا يريدون ان يفهموا ان من الافضل بكثير ، من اجل تحقيق «الاتحاد» بين جميع العناصر الثورية ، أن ينتظم ممثلو مختلف المصالح * في منظمة خاصة ،

---

* انهم بالذات يحتجون على الايمان في قدرة المثقفين العجائبية ، وهم بالذات يقولون بضرورة اجتذاب الشعب نفسه الى النضال ولهذا الغرض من الضروري ربط هذا النضال بمصالح يومية معينة ، من الضروري

وان يقوم هذا الحزب وذاك بعمل مشترك في بعض الحالات وهم لا يزالون يسمون حزبهم بالحزب «الاجتماعي الثوري» (انظر بيان حزب «نارودنويه برافو» المؤرخ في ١٩ شباط ـ فبراير ـ ١٨٩٤) ، رغم انهم في الوقت نفسه يكتفون باصلاحات سياسية صرف ، ويلزمون الصمت بعناية قصوى حول قضايانا الاشتراكية «اللعينة» ان حزباً يدعو بمثل هذه الحرارة الى مكافحة الاوهام. لا يجوز له ان يدفع الآخرين الى الاوهام في مستهل «بيان» ه بالذات ؛ ولا يجوز له ان يتحدث عن **الاشتراكية** حيث لا وجود لغير **الدستورية** . ولكني اكرر انه لا يجوز الحكم على النارودوبرافيين دون حسبان الحساب لتحدرهم من النارودوفوليين . ولهذا لا بد من الاعتراف بانهم يخطون خطوة الى الامام حين يبنون نضالهم السياسي الصرف الذي لا يمت بصلة الى الاشتراكية ، على برنامج سياسي صرف ايضاً وان الاشتراكيين-الديموقراطيين يتمنون من صميم القلب النجاح للنارودوبرافيين ، يتمنون لحزبهم النمو والتطور ، يتمنون لهم تقارباً اوثق مع العناصر الاجتماعية التي تقف على تربة النظم الاقتصادية القائمة * والتي ترتبط مصالحها **اليومية** بالفعل اوثق الارتباط **بالديموقراطية** .

ان شعبية «اصدقاء الشعب» التوفيقية ، الوجلة ، العاطفية الحالمة لن تستطيع الصمود طويلا حين تتعرض لهجوم من جانبين: من جانب الراديكاليين السياسيين لأن «اصدقاء الشعب» قادرون

بالتالي التمييز بين مختلف المصالح واجتذاب كل منها على حدة الى النضال ولكن ، ألا يعني طمس هذه المصالح المختلفة بمطالب سياسية خالصة لا يفهمها الا المثقفون ، العودة من جديد الى وراء ، والاقتصار من جديد على مجرد نضال المثقفين الذين اعترف للتو بعجزهم ؟

* (اي الرأسمالية) ـ لا على تربة النكران الضروري لهذه النظم والنضال الضاري ضدها .

على الثقة بالدواوينية ولأنهم لا يفهمون ضرورة النضال السياسي المطلقة ــ ومن جانب الاشتراكيين-الديموقراطيين لأن «اصدقاء الشعب» يحاولون ان يظهروا بمظهر الاشتراكيين او يكاد ، دون ان تكون لهم اي صلة بالاشتراكية ، دون ان تكون لهم اي صلة عن اسباب اضطهاد الشغيلة وطابع النضال الطبقي الجاري .

كتب في ربيع وصيف عام ١٨٩٤.
طبع عام ١٨٩٤ على الهكتوغراف .

المجلد الاول ،
ص‌ص ١٢٥ــ٣٤٦ .